Ford

رواية

الحب المكتوم

مؤلفها بالانكليزية

بولس لستر فورد (الاميركي)

نقلت الى العربية ونشرت تباعاً

في جريدة المهاجر

" بقلم "

امين الغريب

The Story of an Untold Love, by P. L. Ford. Translated and Printed Serially, By Special Permission of, and Arrangement with, Messrs Houghton, Mifflin & Co., Publishers

طبعت في مطبعة جريدة المهاجر * نيويورك سنة ١٩٠٥

AL-MOHAJER PRINTING DEPARTMENT

21 WASHINGTON ST. NEW YORK 1905

الى كل من

ينظر من الروايات الى الجوهر قبل ان ينظر الى العرض

يتقدم هذا الكتاب من

(المعرّب)

(المكتوب الاول)

في ٢٠ شباط سنة ١٨٩٠

انا الآن جالس قرب فراشي اكتب اليك في ساعة متأخرة من الليل ولواني كنت اشد بأساً لما رضيت بأن اطيل سهري ساكباً دم قلبي من شق هذا القلم. كنت بدل الكتابة اجاهد في سبيل محبتي لكي ازيل من امامها كل مانع. لكنني لست اسكندراً يقطع روابط جدلتها الظروف حوله. بل نظير مادسي ذلك الملك الضعيف انفرد بذاتي خامساً في غير اذن بشرية نفثات حزني الخفي

كل وقت في حياتي لك علاقة به لا يزال مذكوراً عندي بكل وضوح. تحولت افراحي واحزاني من شواعر محسوسة الى تذكارات بعيدة لا تهيج نبضي ولا تثير عواطفي. اتذكر المرة الاولى التي تلاقينا بها كما اتذكر الاخيرة. عندما جئت في يوم ممطر فظهرت الشمس من خلال الغيوم حال وصولك كانها كانت رسولك. وناداني ابي فدخلت المكتبة ورأيتك واقفة فبهتُّ لاول نظرة اذ تراءى لي الملاك الذي كنت اقرأ عنه في المدرسة. كنت طفلةً في السابعة لا يرى الناس فيك الا ثمرة غير ناضجة لكن عينيك في نظري لم تكونا اصغر مما هما الان. وقال ابي يا دونال هذه لعبة ظريفة تلهو بها فالثم خدها

فاخجلني هذا الامر وتراجعت حياءً. لكنك انت دنوت مني وفعلت ما لم استطع ان افعل. تلك القبلة الباكرة كانت مفتاح قلبي وهو حتى الان لا يزال في يدك

أفهل تذكرين شيئاً من هذا . لما كنا صغيرين نلعب ونلهو ولا نحسب للايام حساباً . تارةً نقرأ حكايات خرافية ونقتل الوقت في المجادثة عن شؤونها وطوراً نتداعب في الالعاب المختلفة . وكنتِ في خلال كل ذلك رزينة ممتلئة عزة وفخامة . وكنتُ انا اعجب كثيراً من قلب كبير في صدر رحب بهذا المقدار يمثله وجه وضاح الجبين طلق المحيا ولكن غير ضحاك . لكنني مع كل جهلي تلك اشعر الان اني كنت افهم دخائلكِ اكثر من سواي

وتمرُ في بالي نقمات امي المتواصلة عليَّ وما كنت اناله من الضرب القاسي بسببكِ . والدتي لم تكن ترى بي الا ولداً يزداد في البيت تخريباً كلما ازداد بك اتصالاً . لكن والدي كان يضحك ويقول انك سوف تجعلينني رجلاً . وكنا كلانا نحب هذا الوالد لانه كان نصيرنا الدائم امام امي الظالمة . (فياليته كان لي نصف الشجاعة التي التقى بها مصائبه ....)

مسكين ذلك الوالد . تذكرين يا مازي لما كان يرى والدتي حانقة غضوبة ويا طالما كانت تحنق وتغضب فيأمرنا بالخروج من الغرفة لكيلا نستمع تلك القذائف غير اللازمة ولكيلا نشعر نحن في سن الطفولية بما يجرح قلبنا الصغيرين او يثير فينا عواطف ليست من شؤون الاطفال في العائلة . كان يذهب الى الجمعيات ليلاً . وما كنا نحن نفهم بانه ذلك المسكين يحاول التخلص من زوجة سيئة الاخلاق كثيرة الكدر والنقيق . لم يكن قادراً على احتمال هذه المعيشة فكان يمضي الى حيث يصرف بضع ساعات على الاقل بعيداً عن بيته الذي كان يجب ان يكون موضع راحته ومسرته

والخادمة نفسها لم تكن تبق عندنا شهرًا واحدًا · كانت تهرب من جور الدني فتأتي خادمة غيرها لكي تهرب عن قريب · اما نحن الثلاثة انا وانت وابي فلم نكن قادرين على الهرب لذلك كنا نحتمل الشقاء بصبر وكانت مرارة العذاب تزيدنا محبةً حلوة · وبافتخار اذكر ان والدي في كل تلك الظروف لم ينبس يومًا امامي بكلمة تذمر من اعمال امي · وانا ذاتي لكنت اكرم خلقًا لو انني بدل كتابة هذه الشؤون غير الدالة على محبة بنوية اهملت امرها بالكلية ولاجل ذلك سوف لا اصرف وقتًا اكثر من هذه العشية على تلك التذكارات الشجية

أتذكرين يا مازي كيف كان والدي يعلمنا ان يقول الواحد للآخر : " مساء الخير يا ابي · مساء الخير يا مازي · "

هو الان راقدٌ في قبره · وانت منذ ٣ سنوات اقفلت الباب في وجهي لكني لا ازال كما كنت في الماضي اقول ليليًا · — مساء الخير مازي · مساء الخير —

(المكتوب الثاني)

في ٢١ شباط سنة ١٩٠٠

انا جالس الان وحدي والبشر نيام ادوّن لك على ورق سطوراً لا غاية لها ولا قصد منها . اذا كان ذلك من أدلة الضعف فيَّ هو مع ذلك يخفف احزاني . انا الآن والقلم في يدي انشر لنفسي وحدها ما انطوى في دواخل صدري كانني امرأة عصبية المزاج تصرّف تأثيرات قلبها في فضاء غرفتها مع نغمات البيانو . تلك الايام الماضية كانت سعيدة حتى ان مجرّد ذكرها في هذا الوقت يعيد الى فوءادي شيئاً من سعادتها . وجلوسي امام هذا المكتب واسترسالي في وصف الليالي الخوالي هو افضل لديَّ يا مازي من اشغال بالي في حاليَ الحالي

فرحتِ انتِ كثيراً وحزنت انا لما قيل لنا اننا ذاهبون الى اوروبا لقضاء فصل الصيف . فما احزنني ؟ أكان ذلك نتيجة شعوري بالروح بما ترتب لي من المضض على تلك السفرة البعيدة . لا ادري . لكنني اتذكر ان حزني لم يطل بل تحوّل عاجلاً الى سلوى لما رأيتهم يتزودون الثار والحلوى . ما كان اجمل تلك الايام العشرة التي قضيناها في البحر . وما كان الطف اولئك البحارة الذين لمزيد سروري كانوا يرونك بعيني . تلك السفينة كلها كانت يختاً خاصاً بك وجميع من فيه اتباعٌ وحشمٌ لك . وكم جلسنا على مقدّم السفينة ونوينا ابتياع مركب في المستقبل اكون انا ربانه وانت مديرة شوءونه

ولما وصلنا باريس ودخلنا المدرسة اتذكرين اولاداً لم نكن نخالطهم على الاطلاق ونعرض اعراض المستغني عن مظاهراتهم الحبية · انا كنت اباعدهم عن حياء · وانت عن شيءٍ يدعوه الناس كبرياء · وانا ادعوه عزّة نفس تسمح بالتعارف لقليل من الناس و بالصداقة لاقل من القليل · وكان كلٌ منا مكتفياً بالآخر اكتفاءً يذهلني منك الآن مصدره · ماذا دعاكِ الى الجود عليّ بما كنتِ تضنين به كثيراً · أكان ذلك انعطافاً طبيعياً يا مازي ام تلطفاً اعتيادياً

سقى الله تلك الايام التي كان ابي ينادينا فيها صباحاً بلهجة مرهبة قائلاً : (دونال · مازي · قد اسأتما التصرّف فالعقاب سيكون شديداً · ستذهبان معي الى النزهة) وكنا نتبسم عند ذلك ونتهلل · ونذهب الى تلك الاماكن التاريخية فكان ابي اشبه بدائرة المعارف ونحن اكثر خلق الله اسئلةً عن كل شيءٍ فكان يجيبنا على كل سوءال بليد بكلام لذيذ ومفيد · وكان يقول انكِ اسرع مني الى افتهام كلامه لكن ذلك لم يسوءني · لم تكن بيننا منافسة بل اشتراك · أولستِ يا مازي ارفع من المنافسة وارفع من كل شيءٍ سافل · في كل تلك السنوات السبع التي ترافقنا فيها · وفي السنوات الثلاث الاخيرة التي كان فيها الاختلاط بيننا اقلّ انما المراقبة اشدّ لم اسمع من شفتيك كلمة قاسية ولا رأيت من نفسك انحطاطاً الى عمل سافل · ولكن مالي · ان من الخيانة مجرّد التقريب بين اسمك ولفظة السفال او محاولة انكار شيءٍ مستحيل وجوده فيكِ

وانا اعلم يا مازي انني في هذه الساعة يكفيني ان اتفوه بكلمة واحدة لافرق الى الابد ما بينك وبين ـــ ... آه · مالي احاول الانحدار الى مقام

اسفل من مقامه واصير احقّ ببغضك منه

حسبت دونال دنيئاً لما اغلقت الباب في وجهه منذ ٣ سنوات ٠ احزنني ذلك ولم يغضبني بل زادني حباً بك ٠ لانك حتى في دونال نفسه لم تستطيعي اغتفار صفة هي بهذا المقدار غريبة عنك ٠ ولكن اذا جاء اليوم الذي تفتحين لي فيه باب الصداقة من جديد عندئذٍ تعرفين مقامي وتدركين شدّة ظلمك اياي باساءة الظن بي ٠٠٠ قد ابتعدت كثيراً عن موضوع قصتي ٠ ولكن هذه العواطف احبّ اليّ من ذكر ايامنا الاولى في باريس

لما كانت والدتي تضطرنا الى التنقل اسبوعياً من مسكن الى مسكن نظراً لفظاظة اخلاقها وعجزها في كل لطف الفرنسويين عن وجدان جيران مناسبين ـ واخيراً في ساعة هياج شديد كانت هي المتكلمة فيها وابي الساكت استقر رأيها على تركنا هناك فعادت وحدها الى الولايات المتحدة ٠ لم يكن ابي يستطيع الرجوع بعد ما خسر في شارع وول (بورصة نيو يورك) كل ثروته فعادت القاسية وحدها ـ فياليت ٠٠٠٠ آه ٠ الساعة تدق ٣ بعد نصف الليل وعليّ ان استعيد قوّة للشغل في ساعات الشغل فاستودع الله القلم واياكِ يا مازي — مساء الخير

(المكتوب الثالث)

في ٢٢ شباط سنة ١٩٠٠

بعد رجوع امي الى اميركا لم نمكث في باريس · بل ذهبنا الى جرمانيا وهناك لله ايام قضيناها ما كان احلاها واهناها · ولقد طالما جئت امامك يا مازي على ذكر تلك النواحي آملاً ان تبدي على الاقل خاطرًا في شأنها او اشارة اليها · فلم تفعلي · وانا موقنٌ انك لم تنسيها ...

كان ابي بارعاً في اللغة الجرمانية ونحن لم نطل في اخذها عنه اكثر من المدّة التي تعلمنا فيها الفرنسوية · كم كان يدعونا الى قراءة رواية ومن ثم يطلب منا كتابة مختصر لها ومع ان الناس عادةً يطالعون الكتب لكي ينجوا من مشقة التفكير كان ابي يجعل لنا المطالعة اساساً للافتكار والتأمل · او ما كنا بهذه الطريقة نتعلم اكثر مما تقدر المدارس كلها ان تعلمنا ؟

في الشتاء الماضي اتهمتني السيدة بلودجيت بالنشوفة مع النساء · سألتني امامك عن لون عينيَ ابنتها اغنس · وانتِ واغنس ضحكتما لما اخطأت في الوصف · وساء السيدة يومئذٍ انني مع كثرة زياراتي لبيتها لم اتذكر لون عينيَ ابنتها · على انها لم تعلم ... لو انها سألتني عن لون عينيك لما كنت اخطأت· واذا كان في الدنيا احد جديرًا بالاعتقاد باني اكره النساء يكون انت بعد ما رفضتُ صداقتك مرتين

ولعلك تذكرين ايام كنا نلعب بالاكر وكم كنت تظهرين من السرور كلما انغلبت امامك . نعم كنت اقدر مني على اللعب ولكن يعلم الله يا مازي انني لم انغلب امامك بتلك السهولة لو لم يكن اهتمامي منصرفاً الى اللاعب اكثر من اللعب . وبكل اسف اذكر ان سعادتنا انتهت لما جاءنا الخادم ونحن نلعب وراء البيت ودعانا الى القاعة حيث كان ابي وعمك المستر ولطن ينتظرانك . وقع علينا حلول ميعاد الفراق فجأةً بهذا المقدار حتى لم نستطع تصديق الخبر . ووقفت انا ساكتاً بينما كنت انت تصرحين برفضك الذهاب مع عمك . متكلمة حتى في ذلك الحين المؤلم نظير ملكة تصدر الاوامر لا عاصية تعاند السلطة . كلانا التفتنا الى والدي باعين تكاد تنطق وهو والدمع في عينيه اجابنا ان الفراق محتوم . وكان المستر ولطن واقفاً بكل برودة ورباطة جأش غير مدرك شيئاً من اسرار عواطفنا . ولما انتهى ترتيب حاجاتك حملت الجزدان بيدي الى العربة رغبةً في تقديم خدمة اخيرة . وعندما ازفت الساعة السوداء لم نقل شيئاً من كلمات الوداع بل بسكوت وانبهات امسك كلٌ منا بيد الآخر وتهنا في فضاء التخيلات الى ان فصلت بيننا يد والدي الحنونة . ولحد هذه الساعة لا ازال انتفض جزعاً كلما سمعت قرع السوط على ظهور الخيل متذكراً وقع سوط الحوذي على ظهر الجواد الذي حملك في عربة المستر ولطن

ولعلّ الدهر كان رحوماً . فانه لم يشعرني يومئذٍ بشيء من مرارة المستقبل بل ترك لي الامل بتقصير مدة الفراق . وانا الآن اسائل نفسي هل كان ولد تلك الايام قادراً على الافتكار بان الفراق الذي اضطرنا اليه الآخرون اضطراراً

سوف يتواصل يوماً بامرك اختيارا

تلك الحياة كانت اسعد من ان تحوم . ولكن لماذا انا اكتب ذلك ؟ مع انني لا اعتقد ان اولاد الله مخلوقون للعذاب . اسهل عليّ انكار اعتقادي به جلّ جلاله من الاعتقاد بانه قاسٍ بهذا المقدار على مخلوقاته . ان كل حزن ووحشة في حياتي آتٍ من مصدر بشري . وقد كان كأسي على ما يظهر املأ مرارة مما يشرب اكثر الرجال

يحسبني الناس سعيداً وذا آمال قريبة بسعادة اعظم . فهل ان كل الذين حولي ممن يظهر انهم سعداء مثلي يدفنون ايضاً في طيات الصدور حزناً نظير حزني ؟ وهل تقدرين يا مازي ان تكوني انت كذلك . ساترة على رغم وفرة مالك جرحاً بليغاً في قلب احوالك تحت مظاهر بهجتك وجمالك ؟ لا سمح الله بذلك . فالوداع ايتها الحبيبة — مساء الخير

(المكتوب الرابع)

في ٢٣ شباط ١٩٠٠

مازي · من بعد ذهابك رجعت الى غرفتي حائرًا · وفي اثناء ذهولي لم ادرِ اين تقف رجلاي فانطرحت تحت السرير · كانني حيوان اليف اصيب بجرح مميت فاخذ يحاول التستر عن ذاته · هنالك لقيني ابي بعد بضع ساعات راجفًا ومنعقد اللسان · فاجتذبني من خبائي وحتى اليوم لا ازال اشعر بقرصة البراندي لما سقاني قطرة منه حتى انتعش · و بعد قليل جاء الطبيب · لكيلا يفعل شيئًا · بقيت طول الليل ساهرًا وابي والنجوم شركائي في السهر · حتى اذا طلع النهار اخذ الوالد المسكين يحدثني بكل حنان ورقة عنك يا مصدر بلوتي الى ان غلب عليَّ النعاس · اخبرني ان موت عمتيك في اسبوع واحد صيرك وريثة لثروة عظيمة وذلك ما جعل بقاءك معنا مستحيلاً · وقال : ,, انها خرجت من صفنا يا دونال · ولو تمَّ لها ذلك من قبل لما سمحت امها بان اكون انا الوصيَّ عليها · فصار احسن لها ولنا ان تعود مع عمها الى نيو يورك '' وادركت انا معاني كلامه بعض الادراك وفي ساعة حزني الشديد الخصوصي شعرت معه بحزنه · ومع انه لم يظهر الكدر من اسئلتي ادركت انا كم كان هذا الموضوع يجرح فؤاده · فسكتُّ ·

ولكم كانت ظروفي تغيرت وحياتي اختلفت عما هي الآن لو انني اصررت

على زيادة الاستفهام !

ثم اشار الطبيب اليّ بالامتناع عن الدرس والتنزه مدة سنة كاملة · ومع ان ذلك احزنني جدًّا اذ كان على اثر عزمي على دخول كلية لبسيك لم تنتج لي عنه الا الفوائد لان ابي كان في اثناء اسفارنا في اسبانيا وايطاليا افيد كثيرًا لي من اساتذة المدارس · ومن بعد نهاية السنة دخلت المدرسة ولما خرجت منها كنت حاملاً الشهادة العلمي

وكان ابي في لبسيك يتعاطى مهنة الكتابة للمجلات والجرائد · وكان في اغلب الاحيان يستدعيني لمساعدته في اشغاله · مع ان ذلك كان بالاحرى مساعدة لي انا · وفي مدة قليلة نما في قلبي حب التأليف وتعلقت بشق القلم وملت الى الكتابة تلك الصخرة التي طالما حطمت سفن الآمال في بحر هذا العالم · وتمكنا بهذه الواسطة من معرفة علماء المدينة ومصادقتهم فكان لنا حظ الوجود في اسمى دائرة اجتماعية اعني بها دائرة الادباء التي لا يمكن لمن يختلط بها الا ان يستفيد منها

ولم يمض عليّ الا قليل حتى صرت افعل اكثر من مساعدة بي · صرت اكتب انا ايضاً · وكان ابي يقرأ مقالاتي التي كنت احسبها آيات في سمو الافكار واستقامة المباني فيرميها في سلة المهملات بعد ان يظهر لي من معايبها ما كان يخجلني · واخيرًا — في ساعة حسبتها من ساعات الرضى اذن لي بارسال مقالة الى جريدة · لكنّ اذنه كان نتيجة المحبة الابوية اكثر من الانتقاد الحقيقي لان المحرّر رفض نشرها · ومثل هذا الحظ الاسود صادف اكثر

كتاباتي في بدء الامر · حتى اذ غدوت يوماً على وشك القنوط من تطبيق افكاري على اذواق المحررين نشرت لي احدى الجرائد مقالة فلم ادر أ كنت انا ام ابي اشد فرحاً · وكانت باشارة منه ممضية بامضاء مستعار لانني كنت في رأيه اصغر من ان يكترث المحررون الذين يعرفونني شخصياً للالتفات الى كتاباتي

ولو عرفت يا مازي بمقدار فرحي في ذلك اليوم لما بخلت عليّ بسطر واحد على الاقل تهنئة وتنشيطاً · كنت من بعد اربع سنوات من البعاد اشتاق الى اثر منك اشتياق الايل الى ينبوع الماء · كتبت اليك ٣ مرات ولم آخذ جواباً · وقلت في نفسي لعل صورتي في التحرير تحرك فيك عاطفة ساكنة على ما يظهر فارسلتها وانتظرت ٦ شهور ولكن عبثاً · وكان ابي يعرف ما بي وفي اكثر الاحيان يستحلي مداعبتي ويسائلني عن صورتك التي يجب ان تكون جاءتني منك مبادلة · الاّ اني في ذات الاحيان حنقت من نفسي ومنه حنقاً تعلمين سببه ونفست الصعداء بتنهد عميق اوقف المزح الابوي عند حده · فادرك ابي مقدار تأثري واحنى راسه عليّ وقال : « العفوَ يا ولدي · لقد كنت قاسياً جداً في فلة افتكاري » · وكان ذلك آخر عهدنا مع المداعبة حتى اذا جاء المساء قال لي بكل رزانة : — وهل لم تجب مطلقاً · فهززت رأسي هزة الانكار وعند ذلك بدت على محياه اشد سمة الاسف فقال : « انها من معدن الزئبق النسائي · شديد التنقل لكن آثاره لا تزول · » وامسكت بيده مودعاً فقال لي — مساء الخير دونالد · فقلت له — مساء الخير يا ابي · ولكم كنا سعداء عيشئذٍ لو امكننا ان نقول — مساء الخير مازي !

المكتوب الخامس

في ٢٤ شباط سنة ١٩٠٠

بعدما انتشرت اول مقالة باسمي صار كل وقت فراغ من دروسي مخصصاً للكتابة . وكانت كل مطامعي محصورة في مكاتبة الجرائد حتى خطر لي يوماً ان كتبت كتابين لاجل الطبع . هداني ابي الى موضوعين واسعين وبعد ذلك اصلح كتاباتي اصلاحاً كان يوجب ان يكون الكتابان باسمه لا باسمي . لكنه رحمه الله لم يقبل بذلك من فرط محبته لي . وفي تلك الظروف حدث الحادث الوحيد الذي كدرني من ابي . فاني كنت يوماً اطالع جريدة واذا بمقالة فيها ممضية باسم (رودلف هرزمان) وهو الاسم المستعار الذي كنت انا اكتب تحته فساءني جداً ان يكون الفخر في كتاباتي الماضية قد ذهب الى غيري وتعلمين يا مازي كم يتعلق الكاتب في بداية عهده ببنات افكاره . ومنذ ذلك اليوم صرت ارى كتابات كثيرة بهذا الاسم لكني كنت ابلد من ان ادرك ان ابي كان يفعل ذلك رغبة منه في زيادة شهرتي . وفي يوم من ذات الايام ارسلت مقالة الى جريدة باسمي الخاص (دونال

ميتلاند) فاذا بها ممضيـة باسم (رودلف هرزمان) ولما ارسلت الى المحرر احتجاجاً قاسي اللهجة اعاد اليَّ النسخة الخطيـة .فاذا باسمي عليها ممحوٌ وملتوب مكانه بخط والدي اسم (رودلف هرزمان)

مازي . لا اريد ان اتذكر ما قلت له يومئذٍ . اخجل من ذاتي عند مجرَّد الافتكار بما بدا مني من الحدَّة وهو ساكت يسمع ولا يقول شيئاً . حتى اذ كان الغد وقد هدأَ روعي أخذ يرجوني رجاء بان اقبل نصيحته الابوية وارضى بتغيير اسمي ... ويا حبذا يا مازي . يا حبذا لو كنت يومئذٍ ادركت قصده ... على اني قبلت رجاءه ورضيت ...

وفي تلك السنة تمكنا من جمع بعض الدراهم لنسيح في المشرق الادنى فذهبنا الى ما وراء اسبانيا وايطاليا لكي ندرس امم المغاربة والعرب الذين غبروا بهذا المقدار تاريخ العالم . وما برحوا يتقدمون في تسيارهم حتى وقفت مدافع اوروبا في سبيلهم ففرقتهم من حيث لم يجتمعوا ضدها بعد ذلك . فذهبنا مع بعثة علمية روسية الى مدينة القسطنطينية وما حولها وتعلمنا بعهد قصير شيئاً كافياً من اللغات العربية والتركية والعبرانية والسنسكريتية . وأثر المناخ عليَّ تأثيراً شديداً واكسبني بشرةً سوداء أنستني يومئذٍ انني اميركي الاصل اوروبي المنشاء . فذهبنا الى بغداد على ظهور القوافل وجبنا آسيا الصغرى حتى ازمير ومنها ركبنا البحر الى قبرص وعدنا من هناك الى دمشق الشام ومنها الى اورشليم وركبنا

القافلة الى مكة . ثم عبرنا البحر الاحمر الى مصر . كان يجب ان تكوني معي يا مازي في تلك السفرة . ولكن كيف يمكنني ان اتصور لون جسمك النقي متحولاً بحرارة تلك الشموس الحارّة الى السواد الذي حل بي انا . فبالحقيقة اننا لم نبلغ مدينة طنجة في مراكش حتى لم يكن هنالك عربي قط اشد سواداً مني

ثم ان كثرة دروسي واختباراتي بين تلك الامم القديمة في مدة السنوات الثلاث التي قضيتها هناك لم تقنعني بوجوب الاعتقاد بالقدر . ولكن يجب علي الاقرار بان شيئاً اعظم من الصدفة سهل اجتماعي بك في طنجة . على رغم ما كان يفصل بيني وبينك من الجبال والسهول والانهر والبحار والقفار كانما كانت قوة مغناطيسية تتجاذبنا حتى اجتمعنا هناك بدون ميعاد . الف مانع ومانع كانت تحول دون اجتماعنا حتى في تلك المدينة المراكشية ذاتها . اذ كنتِ انت نازلة في افخم الفنادق ونحن بين اليهود في حي البرابرة الفقراء

وكنا بعد يوم واحد على وشك السفر انا وابي الى اسبانيا بدون ان نزور حي الاوروبيين في طنجة . لولا تلك الزيارة لرجعت الى لبنسيك وقضيتُ باقي حياتي دكتوراً في الطب او استاذاً في مدرسة تلك الزيارة قلبت دولاب حياتي واوصلتني الى هنا . لانني وان كان قلبي يومئذٍ لم يزل شاعلاً بنار محبتك قد كان هذا القلب قاسي من الصد والاعراض ما اوجب عليه اتباع خطة العقل على رغمه

ومع ذلك · انا في هذا الوقت نفسه لا ارضى باستبدال حياتي الحاضرة
مع ما فيها من التعب بتلك الحياة السلبية والخالية من كل تأثير
لاني ان كانت محبتي لك ضائعة بدون امل فيكفي انها محبة · ومع
انك اقفلت الباب في وجهي باقل اعتبار مما لو كنت تطردين شحاذًا انا
مع ذلك قريب منك واراك في كل حين · وهذا الثمن في شرعي من سلامة
الفكر وراحة الضمير · مساء الخير مازي · مساء الخير ·

المكتوب اسادس

في ٢٥ شباط سنة ١٩٠٠

أتذكرين يا مازي كيف تمّ اجتماعي بك في مراكش؟ هنالك ذهبت يوماً مع والدي الى السوق وجعلنا نحادث الاهالي لنختبر اخلاقهم وعاداتهم فسمعت واحداً يغني باللغة العربية اغنيةً ما زلت اذكرها لشدة تأثيرها في ذلك الحين على قلبي . سمعته يقول :

سالتُ الله يرسل ما بقلبي الى قلبٍ عليّ اليوم قاسِ
ويحرقه بنار الشوق حتى يقاسي في المحبة ما اقاسي

وهي تخيلات مشهورة لدى العاشقين في كل مكان وكل لسان ومع انني لست شديد التمسك بالاوهام لا ادري لماذا وقعت عليّ تلك الكلمات ذلك الوقع المدهش . فأخذت افكر وافكر وافكر حتى كبر علي الامر فهمست شيئاً في اذن والدي ليعود الى الفندق وانسللت انا في منعطف الشارع الى شاطئ البحر . وهنالك على رابية جليلة ليست بفخامة منظرها اقل تأثيراً على المخيلة من اهمية تذكاراتها . رابية تشير الى كثرة الاقدام التي داستها في العصور السالفة وتدل اثارها وخرائبها على ما فعلت يد الانسان فيها . على تلك الرابية جلست . وكم وكم بقيت جالساً لا ادري ...

واذا بك يا مازي مقبلة مع رجل غريب اظنه عمك . انا كنت

في ذلك الحين مأخوذ المجامم بذكراك فهل تصدقين انني من شدة افتكاري بك التهيت حينئذٍ عنك !

وكانت حرارة الشمس الافريقية قد اكسبتني برقعاً من سواد اللون اخفى عنك امري فدنوتما مني وبدون ادنى تريث بل بكل ما في الطباع الاميركية من الحرية وعدم الاكتراث قال عمك : إيه . ما اسم هذا المكان ؟

كان يجب ألا اجاوب . ولكنني تذكرت عزة نفس الامة التي امثلها فقلت له بدون ان التفت اليه . (رأس سبارتيل) . فضحك قليلا من تصرفي ولاجل الاستزادة من حديثي تقدم الي ويده في جيبه يحرك بها قليلاً من النقود وقال : لك شيء من البخشيش اذا زدتني فائدة . فلم أجب

وعاد فسألني عن شخصيتي وشغلي ومقصدي ولما درى انني غريب غير سوقيٍ بطال اخذ يحادثني باكثر رزانة . ورأى ان يسألني عن اهل البلاد وعن تأثير التمدن الحديث عليهم فأخذت اشرح ارائي في تلك العادات غير البشرية التي ندعوها (التمدن المسيحي) هذه المدنية التي تجاوزت حدود ديوان التفتيش الاسباني وسلبت الاراضي من اصحابها ولم تكتفِ بذلك بل هي تحاول تغيير عادات فيهم هي نتيجة اختبار اجيال طويلة . واعترضت على اطلاق اسم البرابرة على اناس عائشين بسكينة لمجرد كونهم يأبون استقبال القطارات الحديدية ركعاً وسجوداً

ولا يرضون بخنق حياتهم الطبيعية ضمن جدران المعامل من اجل الارتزاق

واظهرت سروري من كون العنصر الابيض الذي وجد طريقةً لقطع دابر العنصرين الاسود والاصفر لم تمكنه طبيعة البلاد ومناخها من الاستئثار بارضها وسكناها · وكان كلامي موءثرًا عليكِ وعليه· وكان احسن من كلامي قولك لي اخيرًا (نشكرك على هذه الايضاحات)

قال لي عمك · وهل كنت يومًا في اميركا ؟ فاجبته نعم · فتعجب من ذلك وقال · كنت احسب آراءك اقدم عهدًا من اميركا ··· فلم اتمالك من مشاركتكما في الضحك لهذه النكتة وبقضاء من القدر زلت بي القدم فهويت على الحضيض ··

ولما عاد الي رشدي بعدما اغشي عليّ مدة وجدت ذاتي طريحًا بين ايديكما · حتى اذ حاولت النهوض شعرت بنعرة من الالم الشديد في ساقي · فصرخت موجوعاً

قال عمك · مازي امسكي برأسه قليلاً ريثما اذهب واستحضر الطبيب فشعرت ساعتئذٍ بزندك اللطيف مطوقاً عنقي · وفي ابتهاجي الداخلي من ذلك الشعور تناسيت اوجاعي · وقال لك عمك · يمكنك ان تبقي هنا وحدك برهة ريثما اعود · فقلت له نعم · وحتى في ساعة المي الشديد هو لم يتمالك من تمجيد وطنه امامي · فقال · (لو جرى هذا في نيويورك لكانت عربة المستشفى وصلت الينا منذ ه دقائق · ان المدنية غير مستقبحة في كل ظروفها · فقط اعطوها فرصةً)

وحالما ذهب من قربنا وانت ممسكة برأسي ولا تدرين رأس من تمسكين استجمعت كل قواي وتمتمت بشفتيّ في صوت خافت قائلاً . — مازي. فوضعتِ يدك على فمي قائلة (هس) . ظننتِ انيّ انما اعيد الاسم الذي سمعته يدعوك به . فسكتُّ انا لا عن عجز عن التكلم بل حباً باليد التي اطبقت على فمي . وقبل ان يمرّ وقت كافٍ ليجري بيننا اكثر من ذلك سمعنا وقع اقدام اعادت الي الشعور بآلامي فنقلني الرجال الى الفندق الذي كان ابي فيه بعدما ودعتك يا مازي مقبلاً يدك فاجتذبتها بغتة مني بدون ان تسمعيني قائلاً — مساء الخير ..

المكتوب السابع

في ٢٦ شباط سنة ١٩٠٠

لما اتى الطبيب ليجبر الكسر في رجلي اشممني قليلاً من البنج لكي يقل شعوري بالالم . وهو لا يدري . كانما لم اكن في رأيه لاهياً عن كل اوجاعي بذكرى الاتفاق العجيب الذي احدث بيننا ذلك الاجتماع ! .لم يزدني البنج الا انتباهاً فكان الطبيب يمدد اعصابي وافكاري كلها منصرفة الى قوامك وجمالك. قابلت بين الطفلة التي علقت بحبها صغيرة والفتاة التي اذهلني جمالها كبيرة فتمنيت لو اني ولدت مصوراً لاستغني برسم الوانك الحقيقية عن كلام لا ينقل للناس من صورتك الا ما ينقل الوصف الى الاذهان من رائحة البنفسج

في السنة الماضية كنت واياك يا مازي في بيت اغنس بلودجيت ودار الحديث بيننا على فمك . وكرماً ولطفاً سألتماني رأيي في ذلك الفم فذكرت لكما بيتاً من الشعر العجمي يقول :

« عبثاً تحاولين التلفظ بكلمة مرّة . انها قبل دخول الاذان تمرّ بشفتيك الحلوتين فتزول مرارتها »

وانبهت ساعتئذٍ من كلامي فكان تصرّفي معك مملوءًا من المناقضات . تارةً اريك عدم اكتراث الى حد الاهمال وطوراً ترين مني انفعالات العاشق الولهان . ولكن يا مازي ذلك الجمال الساحر يقتضي مثل هذا التصرّف ... آه مالي اذيب دماغي بكتابات لا فائدة منها . انا لا احتاج الى برهان على ما اعلمه

عنك علم اليقين . وحتى لو كنت اكتب هذه المكاتيب لأعين بشرية لما حسبها الناس الا خيالات يحسب بها العاشق مضرب المثل

وانتبهت من غيبوبتي فاراني ابي بطاقة عليها عنوان (المستر فوستر بلودجيت . نمره ٥٤٧ الافنيو الخامس . نيويورك) وعلى الجهة الثانية هذه الكلمات (نأسف لان عهوداً سابقة تقضي علينا بمغادرة طنجه قبل مقابلة صديقنا المفيد . ونرجو شفاءه العاجل) البطاقة هي للرجل الذي كنت احسبه عمك . هو المستر بلودجيت . ولكن الخط عليها كان خط امرأة . وادار ابي وجهه قليلاً فلثمتها بحرارة .

ثم ذهبنا الى لبسيك حيث قضينا مدة لاستعادة صحتي في بيت احد الاصدقاء . واشتغلت وقتئذ بالكتابة الى الجرائد والمجلات والمطابع

هنالك اصيب ابي بشلل في الدماغ من فرط ما اجهد نفسه في التأليف والكتابة . فانه في يوم كان جالساً على مكتبته يراجع بعض اوراق فتساقطت كلها من بين يديه واطرق رأسه على المكتب خائر القوى وغاب . فهبت اليه مذعوراً ونقلته الى السرير واستدعيت الطبيب . اقبل الطبيب ولكن عندما كان رفيق طفوليتنا يا مازي يرسل النفس الاخير قائلاً حتى في غيبوبة الاحتضار — مساء الخير دونال . مساء الخير مازي — واسلم الروح ...

مازي . كان في قلبي موضعان للمحبة . احدهما خلا بموت ابي فصار حبي لك مضاعفاً . دفنت ابي في جرمانيا . وكما يتوق الغريب الكئيب الى اهله تاقت نفسي الحزينة الى نيويورك

وتركت وظيفة عرضت لي في كلية لبسيك وذهبت الى باريس حيث حوّلت باسمي المبلغ التافه المحفوظ في احد مصارفها من بقايا ثروة ابي الضائعة في شارع وول (بورصة نيو يورك) وركبت الباخرة الى اميركا

وكنت كلما اقتربت السفينة من نيويورك ازداد رغبة في لقائك حتى اذا جاء اليوم السابع حسبت ان مدة السفر كانت سبعين يوماً . فما اطول هذه السبعة الايام بالنسبة الى الايام العشرة التي عبرنا الاوقيانوس فيها سوية ! ولما بلغنا محطة السفينة ذهبت حالاً الى فندق ومنه اهتديت الى مكانك . ذلك المكان الذي ربينا فيه صغاراً في شارع ماديسون افنيو

وبقلب خافت ويد مرتجفة كبست الزرّ على الباب فرنّ الجرس . ادخلني الخادم الى غرفة الاستقبال . واعطيته بطاقة ليريك اياها . وبعد دقيقتين عاد اليّ محتشماً وقال : (ان الانسة ولطن ترفض شرف التعرّف بالمستر ميتلاند وترجو المعذرة .) هذه الضربة جاءت فجأةً يا مازي وكانت ساحقة . ففقدت حيناً كل وقار وتمييز وهتفت قائلاً . يجب ان يكون قد وقع غلط . هل اعطيت الآنسة ولطن بطاقتي . فاحنى الخادم رأسه ايجاباً . فقلت له اذهب حالاً الى الانسة ولطن وقل لها انه يجب ان اراها هنيهة

فاجاب (ان الانسة ولطن افهمتني ان ازيد اذا اصرّ المستر ميتلاند على طلب مقابلتها انها تفضل الا يكون لها حديث مع المستر ميتلاند ولا تقبل منه رسائل .)

عند ذلك اقبلت عزّة النفس لمعونتي · فانسلت في المشى صامتاً · ولما فتح الخادم الباب خرجت من بيتي القديم لكيلا اعود اليه بعد ذلك · وفي اسفل الدرج التفت الى ذلك البيت مستصعباً حتى في ذلك الحين تصديق ما سمعته باذني·

ولكن في شدة ذلك الخجل والاستذلال كانت محبتي اعظم واسمى من انفعالي · فلم اتمالك من ان اقول وانا ذاهب : يحرسك الله ياماري — مساء الخير

ــ المكتوب الثامن ــ

في ٢٧ شباط سنة ١٩٠٠

بكل ما يستطيعه القلب البشري من الخجل والحزن والغضب رجعت الى غرفتي وجلست منفردًا ساعات طوالاً قضيتها متفكرًا ومحاولاً ايجاد حلٍّ لهذا المشكل السرّي · وبعد مدة مددت يدي الى جيبي واذا بورقة سلّتها فكانت بطاقة زيارة المستر (بلودجيت) مكتوبة اليَّ بيدك في مراكش وعليها عنوانه

في خمس دقائق كنت على باب مصرف عظيم من مصارف المدينة ولما دخلت سألني الخادم عن اسمي فحرت في امري · المستر بلودجيت لا يعرف اسمي · اخيرًا اخذت ورقة وكتبت عليها (انا هو الصديق الذي انكسرت رجله في مراكش) هذه العبارة خولتني بالحال حق الدخول على الصيرفي في ساعة ازدحام الشغل كصديق

فبشَّ لي اذ رآني وصافحني وامرني بالقعود وباختصار مشهور عن الاميركيين في اشغالهم قال لي : كم يجب ان تكون استعملت من الصابون حتى ازلت اللون الاسود الذي كنت مبرقعًا به في طنجة · فأجبته انني في هذه المدة كنت بعيدًا عن حرارة الشمس · فقال وهل انت اوروبي ام اسيوي · فقلت بل انا اميركي مولود في نيويورك

— اذًا لماذا كنت متزييًا في طنجة بزي العرب · ودعوت ذاتك يومئذٍ رودلف

هرزمان وهو اسم جرماني·

—ومن اخبرك في طنجة عن هذا الاسم الذي انما استعمله لكتاباتي فقط

— اذًا لك اسمان اسم للكتابة واسم للحقيقة

— هكذا كان ابي يريد ضد خاطري

—وما هو اسمك الحقيقي ؟

—دونال ميتلاند ابن وليم ميتلاند

فارتجف الصيرفي عند سماع هذا الاسم وضم شفتيه كانه يريد الصفير من الجزع وادار ظهره ملتفتًا الى خارج الشباك ومتأملاً كمن اصيب بصاعقة · ثم نظر الي وقال · ماذا تريد مني

— اخذت الحرية بالمجيء اليك اعتقادًا بانك صديق الآنسة (ولطن)

— نعم

فالانسة ولطن كانت بعهدة والدي في طفوليتها ومع ذلك رفضت امس مقابلتي · اتقدر ان تذكر لي السبب

— السبب واضح الآنسة ولطن رفضت مقابلتك لانها تحتقرك

فصعد البخار الى رأسي لكني انتظرت ريثما اتمكن من التكلم ببرودة · وقلت · لماذا ؟

— كانك تجهل ان اباك تصرَّف خلسة ببعض ثروة الانسة ولطن وانت واياه حتى الان تعيشان منها · وكل احد في اميركا يعلم ذلك جيدًا

فبقيت ساكتًا لان الخبر كان جديدًا · وكنت اشرف من ان

استطيع تصديقه واعز نفساً من ان انكر ما لا ادري عنه شيئاً . فقلت له وانت على يقين مما تقول . فاجاب انه كان احد المعينين من قبل الحكومة للمحافظة على ما لم يتمكن ابي من اخذه معه الى اوروبا من ثروة الطفلة . فقلت له ارجوك التكرم علي ببضع دقائق لتجيبني عن هذه الاسئلة .

— ما هي الكمية التي اخذها ابي ... بل التى خسرتها الانسة ولطن

— مئة وثلاثون الف ريال . يسقط منها ٢٦ الفاً استمدناها من مبيع عقاره بالمزاد

— اذاً يكون الباقي لها ١٠٤ الاف ريال . فاجاب نعم . فقلت له . اشكرك يا مستر بلودجيت . لقد اثقلت عليك بما اضعته من وقتك بعد لطفك الماضي معي . فانا الان اشكر لك الفضلين معاً . قلت هذا ولم اجسر على مد يدي لمصافحته اما هو فمد يده لي باسماً وقال .

— ارجو الا تثبت على نفسك العيب باتيان شيءٍ من نتائج اليأس . فهززت رأسي نافياً الرغبة في الانتحار . ثم سألته عن فائدة المبلغ الى اليوم . فأجابني انها ترفعه الى قيمة مئة واربعة وعشرين الفاً وقال لماذا . فقلت اني اريد السعي لوفائه

فأخذ يسألني عما اعرف وافهمته اني دارس بضع لغات اوروبية وقادر على التأليف والكتابة وان مدرسة في لبسيك عرضت لي وظيفة

فيها بألفي ريال في السنة • فابتسم من قلة المبلغ بالنسبة الى معارفي الواسعة • وقال • كل هذا يدل على انه خير للانسان ان يمرن يديه اكثر من دماغه • فأجبته قائلاً • ذلك اذا كان لا يحب من الدنيا الا جمع الدراهم • فقال انت مثل مازي • كان يجب ان تموتا صغيرين لتذهبا الى السماء حيث لا شغل للابرار الا الاهتمام بالروحيات

وكان مجرد ذكره لاسمك يامازي امامي تكريمًا كافيًا لي ودليلاً على ارتفاع مقامي في عينيه • ثم سألني ان اراه قبل ان آتي عملاً فوعدته بذلك • ورجوته ان يكتم كل ما دار بيني و بينه من الحديث وحتى وجودي في نيو يورك عن كل احد وخصوصاً (الانسة ولطن)

ورجعت من عنده كانني مخلوق جديد متأملا في الماضي وكم كنت اعمى • عند ذلك عرفت لاول مرة لماذا اسرعنا في السفر الى اوروبا بدون استعداد • ولماذا تركتنا امي ولماذا تمكن المستر ولطن من اخذك من بين ايدينا بدون معارضة • ولماذا لم نكن نخالط الجالية الاميركية في كل مدينة اجنبية • ولماذا كان ابي يريد تغيير اسمي • ولماذا لم يكن يوقع مقالاته بامضائه الخاص بل باسمي انا المستعار • رحمه الله • كان يعرف ذلك العار الذي جره على اسمنا وكان يريد ان يبعده عني

مشاء الخير • مازي

المكتوب التاسع

في ٢٨ شباط سنة ١٩٠٠

مراراً كثيرة في هذه السنوات الثلاث اخذت القلم لاكتب اليكِ رسالة رسمية احاول فيها ان ازيل من فكركِ شيئاً من سوء اعتقادك بابي . وكنت في كل مرّة امزق الورقة قبل النهاية قائلاً في نفسي ان مدافعتي عن ابي تحتمل الريب لانها من قبيل مدافعة المرء عن ذاته

لكنّ الذي حرس طفولتكِ مدة طويلة لا يستطيع يا مازي ان يكون سافلاً بهذا المقدار . اذا كان قد اخطأ قدامكِ . اذا كان قد استعمل شيئاً من ثروتكِ . هو لم يفعل ذلك بقصد الضرر بكِ . انما هو رجل متعلم قذفت به الظروف المعاكسة الى التجارة والمضاربات في البورصة فخسر امواله ورأى بين يديه من مالك الكثير وسيلة ممكنة قد يستفيد بها خسائره . فاستعمل شيئاً من ذلك المال وخانته التقادير ايضاً . وعندئذٍ لم يبقَ امامه الا الانتحار ام الهرب فسار بنا الى اوروبا

ألا يشعر قلبك يا مازي بان تصرّفه هذا كان نتيجة شدّة محبته لك وعظم ثقته بك لا رغبة منه في الاساءة اليك !... أيمكن للقلب الذي احبك بهذا المقدار ان يتعمد اذاك . يا مازي انا لا اطلب شيئاً لذاتي . ولكن ان تذكريه وتحبيه مثل الماضي هو كل ما ارجوه منك ليزيل كل احزاني

وعلى رغم المرارة التي نجمت لي من ايضاحات المستر بلودجيت كان هنالك من الحلاوة ما جعلها مقبولة

اعواماً طوالاً بقيت حاسباً اياك ناكثة العهد عديمة القلب . وحتى في شدة ولهي بك ابغضتك واحتقرتك احياناً ذلك البغض والاحتقار الذي لا يقدر على تأليف مثله غير الحب . يظن الناس ان البغض لا يشتد الا ضد الاعداء . ويتعامون عن عظم الخلافات التي تقع يومياً بين اقرب الشعوب والافراد . ان اشد البغض ينتج عن اشد المحبة . واما الان فانا ادري ان اهمالك تحاريري وصورتي لم يكن بدون سبب . وعرفاني بظلمي اياك وبكونك احرى بمحبتي يشبه خيوطاً فضية تلمع على اطراف غيوم الخجل المتلبدة عليّ

بعد مرور ثلاثة اسابيع على زيارتي الاخيرة للمستر بلودجيت ذهبت اليه ثانية . فقال لي الولد بالباب انه كان كل يوم يسأل عني . ولما دخلت عليه اصبت بارتعاش . اذا بك جالسة بجانبه تتكلمان على ورقة حساب مطروحة على المكتب . لو امكنني التخلص بدون انتباهكما لفعلت ولكن نظرتما اليّ حال دخولي

ولما رأيتني وقفتِ هاتفة هتاف التعجب والمعرفة على رغم التقلبات الكثيرة . أتعجبين يا مازي من انني من شدة ذهولي وجهلي النتيجة لبثت صامتاً كالحجر . وفي خلال ذلك الانبهات الرائع لمع ثغركِ البسام قائلاً . السر هذا الدكتور هرزمان ؟

،، من كل بدّ ،، اجاب المستر بلودجيت بسرعة دلت على ان سوءالك كان عوناً له مثلما كان لي . فقلت . لم اكن احسب يا سيدتي الآنسة ولطن انك نظرت الى وجهي ليلتئذٍ نظرة كافية لتذكريه حتى اليوم

— ولكن القمر كان منيراً في تلك الليلة حتى اني لقادرة ان اعرفك اينما رأيتك

فقال المستر بلودجيت . اني احسب ذاتي الان في طنجه ونحن وسط نيويورك . فقلت نعم ما دمنا في هذا المحل ولكن عندما انظر الى هذه الجماهير من المارّين في شارع وول يتضح لي الفرق العظيم. ففي كل اسفاري حتى بين المتوحشين الذين لا يمشي الواحد منهم في الطريق الا مسلحاً لم اجد وجوهاً اضناها القلق والهم مثل هذه الوجوه النيويوركية . فقال المستر بلودجيت . نعم . لان اكثرهم يقلقون خوفاً من ان يقضوا على مائدة الغذاء اكثر من ٣ دقائق

ثم وقفت تريدين الانصراف مادّة اليّ صفحة الوداع وقائلة . اشكر الصدفة التي جمعتنا ايها الدكتور وارجو ان اراك ايضاً . فاجبتك شاكراً

وبعد خروجك من الباب ضمّ المستر بلودجيت شفتيه صافراً وقال : والله لم تمرّ عليّ عشر ثواني رعبة مثل هذه منذ عرضتُ يدي لشطري الافضل . فالحقيقة لا شيء يهولني مثل المرأة الغاضبة . النسافات والبراكين النارية لا تعد شيئاً امامها . لان لها حدوداً . اما المرأة !...

فاجبته باسماً · من امثلة الهنود السائرة ان النساء تخاف الفئران والفئران تخاف الرجال والرجال تخاف النساء

ــ ماذا فعلت في هذه المدة ايها الدكتور هرزمان ؟

ــ كتبت الى طابع كتبي اسأله بيع حقوقي فيها والى صديق لي ليستعلم عما تباع به مكتبتي والى صيرفيّ في باريس ارجوه ارسال تحويل بما لي عنده · وقد جاءني التحويل · ولا ادري كيف اصرفه

ــ اعطني اياه وانا اهتم به

وعند ذلك دخل بعض العملاء علينا فاستأذنته بالذهاب وعدت الى غرفتي · وفي اليوم التالي جاءني المستر بلودجيت زائراً · ودعاني الى بيته قائلاً ان زوجته احبت كثيراً ان تراني عندما اخبرها عني وعرض لي الاقامة في بيته مدة اسبوع كامل · والحّ عليّ كثيراً فاجبته بالايجاب

وكان استقبالي عنده في بدء الامر غير خالٍ من بعض الارتباك لانه صوّرني لزوجته على ما يظهر بهيئة شرقيّ مختلف عن الاميركيين ذوقاً واخلاقاً · فلما رأت اني لا اجلس القرفصاء على الارض ولا احمل يطقاناً او خنجراً ولا امتنع عن الغسيل يومياً بل انني ,, معلم جرماني '' اسود الجلد والشعر عاملتني معاملة رسمية · وصارت تعتني بي على المائدة وفي الغرفة وفي المقعد اعتناء مذهلاً لفكرة الشخص

الذي اعتاد المعيشة وحده والاهتمام لنفسه بهذه الامور . كم يجب ان يكون المتزوجون وابناء العائلات سعداء في معيشة لا يحلم بمثلها الرجل المنفرد . كانت مادام بلودجيت تسن لزوجها القوانين وتخبره متى يجب ان يدخن السيكار واين يجب ان يجلس بقرب اثفية النار واخيراً كانت تأمرنا جميعاً ـ انا وزوجها واغنس ـ بالذهاب الى الفراش في الساعة التي تناسبها هي .

ثم اني بواسطة المستر بلودجيت امكنني جمع مبلغ ٣٣ الف ريال من تلك المبيعات فاحتال هو على كتابتها على ورقة تلغراف كانها آتية من باريس رأساً ,, لتسديد قسم من المطلوب للآنسة ولطن من وليم ميتلاند ''

لا ادري ما جال في خاطرك عندما قرأت ذلك التلغراف . ومهما يكن من الامر فاني راض بان احتال على رضاك احتيالاً

فاذا كان صديقك القديم دونال ميتلاند قد مات اعتباراً في قلبك الا يمكن لمحبك الجديد رودلف هرزمان ان يقوم مقامه . لم يخطر ببالي ان اتوقف يوما للافتكار في ما اذا كان عملي هذا صواباً ام خطأ . ذلك ان محبتي لك هي اقوى كثيراً من ضميري

مساء الخير مازي . مساء الخير

المكتوب العاشر

في اول اذار سنة ١٩٠٠

في اثناء تلك الزيارة سمعت عنكِ كثيرًا من السيدة بلودجيت وابنتها اغنس · اكثر احاديثها كانت تدور عليكِ · فمنها عرفت لاول مرة ان مركزكِ وغناكِ ونفوذ عمكِ اوجدتكِ في جامعة لم تكن من مشربكِ · وان اغلب وقتكِ كان مصروفًا في السفر والانفراد والدرس والاعمال الخيرية · وانكِ لولاهما لكنتِ بلا صديق حقيقي فتأكدتُ عند ذلك ان الفراق اوجد عندكِ مثل ما عندي · قالت السيدة بلودجيت يومًا :

„ بعد ان اتى بها المستر ولطن الى اميركا مكثت بضعة اشهر معنا · وكانت اشد اولاد الارض هما وغمًا · لكنها لم تذكر لنا حزنها يومًا · وكل هذا من جراء ذلك النذل وابنه ! والذي اراه ان الرجال كلما ازدادوا فسادًا تزداد المرأة الفاضلة محبة لهم وشغفًا بهم · فلما كبرت مازي حتى استطاعت الادراك واخبرها ولطن عن كيفية اختلاس ميتلاند اموالها لم تشأ ان تصدق · حتى اذا ايد لها زوجي الخبر سكتت عن ذكراها سكوتًا لم ينقطع منذ ذلك اليوم "

وزادت اغنس على كلام امها انكِ حزينة جدًا وان الناس لا يعرفون لكِ قيمة بل يحبونكِ لمجرد كونكِ غنية وان اساءة ميتلاند

اليك علتك عدم الثقة بالرجال · مسكينة اغنس · انها تحبك وتعجب بك كما كل ابنة ١٨ سنة تحب رفيقة لها في الثالثة والعشرين

وفي ذات الايام دخلتِ علينا زائرة فكان دخولك مفتاحاً جديداً لباب التخيلات في رأسي · ادركتُ عندئذٍ لماذا يحبك اصحابك وعجبت في الوقت نفسه من ان كل الناس لا يقعون بهواك

ودخل على اثرك المستر هويتلي · فكان انتباهي له غير اعتيادي · كانني ادركت بالروح كم سيكون مهماً الدور الذي سيمثله هذا الرجل في حياتي · ان العاشق لا ينظر الى مناظره برأفة · ومع ذلك لا بد لي من الاقرار بانه جميل الصورة · ولو صح لي الانتقاد لاخذت عليه امارة العبوسة البادية على وجهه · وفي ما خلا ذلك كل غيرتي منه لا تمكنني من انكار تمدنه ومظاهره الحسنة

اما تصرفاتك معه فكانت تدل على الصداقة اكثر من المحبة · بل كانت تشير بما يبدو عليك من الرغبة في تجنبها على انها كانت هي التصرفات الوحيدة الممكنة

حينئذٍ اخذنا نبحث في مسألة تعليم المرأة · فادخلت السيدة بلودجيت تفاحة الاختلاف بقولها علناً وصريحاً ان العلم يضرُّ بالمرأة لانه يمنعها من الزواج · قال زوجها · ان المرأة تتعلم اكثر من اللازم فاجابته كلا · انها تتعلم اقل من اللازم · فبدلاً من ان تكون في العالم تدرس الحياة

والرجال لتختار منهم من يناسبها هي تقعد الآن في مدرسة تملأ رأسها حساباً وجغرافية

فقلتُ لها · وحضرتك تريدين حصر حساب المرأة بان يكون جمع الواحد والواحد واحداً

قال هويتلي · لا اخالك تزعمين ان غير المتعلمة تكون اصلح زوجة بين النساء · فاجابته اني اعتقد ان الفتاة التي تعرف كثيراً من الكتب تعرف قليلاً من الرجال · ولذلك نرى اكثر البنات المتعلمات يتزوجن رجالاً اغبياء · فقلت حينئذٍ — كم يجب اذاً ان توجد زوجات متعلمات · وزادت السيدة بلودجيث على ذلك قولها — ولا يسوءني انهن يتزوجن رجالاً اغبياء لكنهنَّ غالباً لا يتزوجن على الاطلاق · بل يحسبن ذواتهنَّ ارق عقولاً من كل الرجال · فاجبتها انتِ قائلة · — لا اظن يا سيدة ان السبب هو الاعتقاد بالارتقاء بل هو انقلاب الغاية من الزواج · من قبل كانت الفتاة تتزوج لاحتياجها الى سند· اما الان فهي تطلب رفيقاً · فقال لك هويتلي · أولا تظنين يا آنسة ولطن ان فتاة اليوم تطلب كثيراً · إن اوقاتها تسمح لها بالقراءة والتعلم · فهي تتوقع من الرجل ان يتعلم مثلها وهو في شغله من الصباح الى المساء · فاجبته قائلة · — اظن هذا السبب الوحيد للتذمر · فان رجل اليوم منصرف بهذا المقدار الى جمع الدراهم حتى انه يضحي لذلك كل

وقته · فانا وان كنت اسلم بان المرأة تعشق احياناً سيفاً او رمحاً لمجرد تذكاراته الشجية لا ادري كيف تقنعونها بان تعشق آلة سبك النقود من اجل حاصلاتها · فقال المستر بلودجيت · ان مازي تريد منا ان نكون جميعاً مصوّرين وشعراء وموسيقيين · فاجبته كلا · ولكن اذا لم يجب على كل الناس ان يكونوا كهنة لا يعني ذلك انه لا يجب ان يعرفوا شيئاً من اصول الديانة · فقال هويتلي · ولكن الذين يجمعون الدراهم يا آنسة ولظن لهم عقول مثل الشعراء والكتاب · فقلت له · نعم لكن عقولهم لم تتمرّن الا على شيء واحد · فقال · وهكذا العلماء فانهم لا يفهمون الا بشيء واحد · فقلت له · لكنّ هذا الشيء الواحد يختلف كثيراً عن الذي لا يتمرّن العقل فيه الا على اسعار الفولاذ والقطن · واظن ان السبب في ميل البنات الاميركيات الى الاقتران بشبان اوروبا هو اعتقادهنّ بان الاجانب اوسع معارف من الاميركيين · فقالت ربة البيت · هذا ما اعني بقولي ان العلوم تعدم المرأة اهليتها للزيجة · فهي تتزوج الاجانب لانهم اوسع معارف ولا تفتكر باخلاقهم · فاجبتها قائلة · حقّاً يا سيدتي ألم يمرّ الزمن الذي كانت فيه البلادة علامة التهذيب · اوليست التجارة اقرب الى تضييق الصدر واماتة العواطف وتقسية القلب والطباع من كل حرفة من حرف العلم السامية ؟

مازي · كان هذا الرأي منك شديد الانطباق على ما طالما علمنا

ابي اياه حتى تأكدت ساعتئذٍ ان مبادئه هذه المطبوعة في ذهنك تزيل كل خطر من ان تتزوجي هويتلي يوماً . لاني تيقنت انكِ لا تحبينه . وكيف اتوهم بانكِ انت مع كل جمالك ومالك ورفعة شأنك تقبلين يوماً بزيجة خالية من المحبة ؟

ولهذا اقول الآن بقلبٍ طافحٍ فرحاً ــ مساء الخير مازي . مساء الخير

المكتوب الحادي عشر

في ٢ اذار سنة ١٩٠٠

فلما كان اليوم الاخير من زيارتي لتلك العائلة اتيح لي في برهة قصيرة ان ادرك الفرق بين التاجر وصاحب القلم · قال لي المستر بلودجيت: انني دعوتك لزيارتنا على امل ان افحصك وارى لماذا تصلح في الاشغال · والذي ارى انك لم تخلق للتجارة · لان عندك من الضمير والانعطاف اكثر مما يستطيع معه التاجر ان ينجح · فالتجارة هي اكتساب كل ما هو حسن في الناس · وانت اشد ميلاً الى المساعدة منك الى الاكتساب · ولما رأى الكآبة في ملامحي قال · لا تحزن على ما اقول · انه يسهل على كل انسان ان يغشّ غيره · لكن الصعوبة في المقدرة على عدم الغشّ · وانا ذاتي لولا زوجتي واغنس لتركت اشغالي منذ الغد · لاني مشمئزّ مما في التجارة من ضروب الرياء ومخالفة اعتقاد الضمير · ولكن هاتان المرأتان تريدان ان يكون لهما مقام في المدينة · وذلك لا يتم بدون شغل كما تعلم · وعلى كل سوف ارى لك عملاً ترتزق منه جيداً بدون ان تبيع ماء الوجه · فودعته وانصرفت

وكتبت الى اصدقائي في جرمانيا من العلماء والصحافيين طالباً منهم شهادات لاصحاب الجرائد والمطابع في نيويورك بمعرفتي واعتباري واخبرتهم

اني لمصالح تجارية اعتمدت اسم رودلف هرزمان بدلاً عن اسمي فاتاني من تلك الشهادات ما زاد عن رغبتي حتى كدت اخجل من تقديمها الى علماء نيويورك لفرط ما كان فيها من المدح والتبجيل وعند ذلك أعددت للطبع كتاباً لي عن اسفاري واغترابي في مشارق الارض ولما انتهى طبعه نظرت اليه الجرائد بعين الاعتبار ومدحته كثيرًا فراج رواجاً لم أكن اتوقعه . ولم اشأ ان اذيله باسمي خوفاً من ان يتصل البحث فيه الى معرفة اسمي الاول . فاخذت الجرائد تنسبه حيناً الى عالم من علماء اوكسفورد وآخر الى همزل استاذي في كلية لبسيك وتارة الى معلم جرماني مستشرق وطورًا الى شرقي متعلم الانكليزية

وكم كان حظي سعيدًا لما غدوت يوماً الى مكتبة لينوكس العمومية فرأيتك هناك جالسة بين القراء مكبةً على كتاب تقرأينه بامعان وذلك الكتاب هو كتابي

استأذنتك الكلمة فدعوتني للجلوس بطيبة خاطر وقلت لي . اراك يا دكتور هرزمان مطيلاً المكث في اميركا فهل لم تستعد للرحيل . فاجبتك اني مقيم في اميركا بقية عمري . فاذهلك الجواب وقلت . هذه اول مرّة اتى اميركا كاتب اوروبي لغير الوعظ والتكلم عن ذاته ولم يعد الى اوروبا ليكتب كتاباً عنا لا يقرأه احدٌ سوانا . فابتسمت من تهكمك على كتاب اوروبا وشكرتك لانك جعلتني شاذاً عن

تلك القاعدة

ثم اخذت احادثك عن شؤون مختلفة وعن الكتب والكتاب والفرق بينهم في اوروبا وفي اميركا حتى سألتني اخبرًا عن الكتاب المفتوح امامك وعما اذا كنتُ قد طالعتهُ

لم تكوني تدرين يا مازي ان انا ملي خطت كل حرف فيه وعينيَّ جالتا في كل سطر من سطوره عشرين مرّة . فقلت لكِ نعم . فقلت

— اتدري يا دكتور هرزمان اني في اثناء قراءتي هذا الكتاب افكرت مرارًا باحتمال كونك انت المؤلف . على ان المستر هويتلي قال انه متأكد بالبرهان ان المؤلف هو همزل الجرماني فهل تعرفه ؟

— همزل كان استاذي في لبسيك

— اذًا هذا هو السببَ في استشباهي الافكار بينكما . وهل تحب الكتاب

— اظنُّ انه محاولة رجل حرّ الافكار ان يصف ما رأى

— اما انا فاظنُّ اكثر من ذلك . انه وصفٌ حقيقيٌ لشيءٍ جميل

عندئذٍ رأيت انه لم يعد من حقي اطالة الحديث عن الكتاب بعد ان مدحته يا مازي بهذا المقدار على اني لم اتمالك من السؤال عما اذا كنت قد سررت به

فقلتِ . ان هذا الكتاب حبب اليَّ المعيشة البدوية بين القبائل التي

يصفها · فيا ليتني كنت رفيقة كاتبه في اسفاره لان هذه المناظر وما فيها من التصورات والافتكارات تهيج عواطفي بنوع خصوصي · ولكن قل لي شيئاً عن الاستاذ همزل وهل هو شاب وكم عمره

ـ اثنتان وستون سنة

ـ لكنه شاب في افكاره على ما يظهر · وهل هو لطيف في حديثه كما هو لطيف في كتابه

ـ همزل رجل ساكت

ـ وهكذا يكون الرجال الذين يفهمون ماذا يقولون · ان السكوت اعظم دليل على فائدة التكلم

ـ والطبل يا مازي يجب ان يكون فارغاً حتى يعلو صوته

وانتهى الحديث

لا ادري ما كان في خطرات قدك وانت ماشية بعد تحية لوداع مما هاج في قلبي عاطفة المسرّة والاغتباط · تذكرتُ ثناءكِ على كتابي فكان الطف على سمعي من كل ما قالته المجلات والجرائد · ولم يكن ذلك وحده ما دفع مجرى كهربائية الابتهاج في جسمي · ايقنت يا مازي ان الانعطاف في الرغائب والاتفاق في الافكار موجود ما بيننا · ومرّت ببالي ذكرى الليالي الخوالي ـ ذكرى الصداقة القديمة الطيبة الآثار تمثلت لعينيّ كطيف يحاول استرجاع الوجود .... وفي

هنيهة قصيرة من ذلك الانتقال الروحي تناسيت احزاني ..

مساء الخير مازي

المكتوب الثاني عشر

في ١٢ آذار سنة ١٩٠٠

كانما الحظ قدّر ان تكون حياتي كلها متعلقة بحياتك . ففي شهر كانون الاول استدعاني المستر بلودجيت الى مكتبه . وهناك لما دخلت عليه حياني باسماً وقال :

يوجد بين الناس امثلة كثيرة من البلهاء . ولكن اشدّ هذه الامثلة وضوحاً هو الذي لمجرّد كونه يحسن عملاً واحداً تصوّر له بلاهته انه يحسن كل الاعمال . انا اعرف رجالاً قادرين على الاثراء في بيع الخمور يستمرون دائماً في فقر بواسطة ظنهم انهم ماهرون في سباق الخيل . واعرف نساء يظهرن كالملكات في المجالس الرسمية لكنهنّ يذهبن الى الخراب والانحطاط بتهجمهنّ ادعاء وجهلاً على التمثيل في المراسح . انني جلست ثلاثين عاماً امام هذا المكتب وقد جمعت ثروة كبيرة بواسطة افتكار الكهنة والاطباء والتجار والفلاحين انهم مخلوقون للبورصة وقادرون على مقاتلتنا نحن ابناء شارع وول بسلاحنا ذاته . والخلاصة مهما تفعل في هذا العالم ايها الدكتور فلا تفتكر قط لمجرّد احسانك التكلم بتسع لغات انك قادر على النجاح كرجل ابكم

واعلم الآن ان اسكندر هويتلي الذي قابلته مرة عندنا يفهم اكثر من غيره في شؤون البترول والزيت ولقد اثرى من هذا الفهم .

لكنه غير مكتفٍ بارتقائه على قمة اشغاله بل يريد ان يرتقي على قمة اشغال الآخرين . فاشترى امس جريدة يومية لكي يديرها ويحررها بنفسه . ثم جاءني يطلب مني نصيحة في شأنها فاشرت اليه بان يستخدم لها مديرًا خبيرًا ويعينك انت رئيس التحرير ويعطيكما كل الدراهم اللازمة لادارتها . وقد نبت عنك في التكلم فطلبت لك منه اربعة الآف ريال راتبًا سنويًا . يكون عليك ان تتظاهر باصلاح ما هو يكتب ولكن بالحقيقة عليك ان تكتب ما هو يريده ان يكتب . وهو عن قريب يأتي الى هنا لاني اردت ان تتفق معه امامي لئلا يتغلب عليك باحتياله ويجعلك تشتغل له اكثر من اللازم

اتى المستر هويتلي وتمّ الاتفاق . واخيرًا قال له بلودجيت . اذًا هويتلي . قد تقرّر ان الدكتور يجاوب على تحاريرك ويصلح لك المقالات ولا يعمل شيئًا غير هذا . فاحنى هويتلي رأسه ايجابًا وانصرف . فقال لي بلودجيت كلما كلفك ان تعمل له شيئًا زائدًا عن الاتفاق اطلب منه اجرة زائدة عن الراتب . ولا تضع الان وقتي بتشكراتك لي فاني مشغول كثيرًا انما تعال الينا العشية لاجل العشاء كي تهنئك زوجتي واغنس بالوظيفة الجديدة

ابتدأت اشتغل في بداية العام . ويضحكني ان اذكر اول مقالة كتبها المستر هويتلي بعنوان (نظرة في العام الجديد) كل ما اذكره اني اعدت كتابتها اربع مرات قبل ان صارت لائقة بالطبع . وكان

بعد ذلك ينتظرني يومياً في الادارة حتى اذا اتيت يقول لي متلطفاً: لعلّ الدكتور هرزمان يقترح عليّ اليوم موضوعاً مفيداً للكتابة . فاذا اقترحته قال . حسنٌ . فيمكنك ان تكتب ما تظنه موافقاً مني في هذا الموضوع ريثما انا اقرأ التحارير . ومن بعد ساعة كان يأخذ الورقة مني ويضع عليها امضاءه ويرسلها الى مرتبي الحروف . ومن حسن حظي انه كان مثلي يكره السياسة فلم يضطرّني الى درس هذا الباب الشبيه بالزئبق في تقلقله والذي يتظاهر الناس فيه رياءً بمحبة عمومية يدعونها الوطنية . فكان يطلب مني دائماً الكتابة في مواضيع اجتماعية تهذيبية ويرتاح الى وجود عبارة بعد اخرى من لغة اجنبية تظهر في المقالة الانكليزية على سبيل الاستشهاد . وكان يرغب دائماً في التظاهر بالمقدرة الكتابية وطالما كان يستوقف زائراً نصف ساعة ليقرأ له مقالة معدّة للعدد التالي من الجريدة بعد ان يخبره انه كتبها في بضع دقائق

هذا كان وجه الضعف في الرجل . لكنه مع هذا كان قويّ الارادة ولم يمضِ على الجريدة زمن قصير حتى صارت مورداً حسناً للكسب . لكنّ همه لم يكن في ارباحها المادية بقدر ما كان في الشهرة التي نالها في عالم الكتابة بواسطتي

فيا مازي . يا مازي

ما اعجب هذا العالم . الرجل الواحد يختلف في طباعه بقدر اختلاف

اعتقادات الناس فيه · في اعين العموم يعد هويتلي رجلاً قديرًا على ادارة الاشغال · واسع المعارف سامي المدارك ومهذبًا لطيف المعشر · اذًا لا غروَ يا مازي في ان تكوني تحبينه · لانكِ وان كنتِ ذات حكة ودراية لستِ صاحبة شكٍ ونية سيئة وهو عجيب في اعماله وحر في تصرفه على رغم ما في طباعه من الغش الى حد انه لا يوجد عشرة اشخاص قادرون على تمييز الفرق بين حقيقة الرجل وظاهره · انتِ تتخذين الكتابات المشتهرة باسمه دليلاً على اخلاقه · ولا تجدين سبيلاً للشك بكون هذا الكعك من غير ذاك العجين اكثر مما تجدين سبيلاً لمعرفة ما يطويه صدري انا من الخفايا

ولماذا يا مازي انا اعجز عن كل شيء غير الجلوس هنا وتسطير احزاني الماضية على صفحة حالتي الحاضرة · لا ادري · ولماذا مع كل قوتي لم يعد لي جلد على الشغل · هل انهك الشغل قواي وها انا قادر على مكاتبتك عن ادق الشؤون التي جرت لي وان قضيت الليالي ساهرًا · لا لعمري ولكن يا مازي تنحلُّ عزائمي عند ما افتكر بقلة الامل في سرعة وفائي ديونك الباهظة ويخيفني مجرّد الافتكار باحتمال صيرورتكِ زوجة له وبقلبٍ خافقٍ مرتاع اقول لكِ يا مازي· مساء الخير

المكتوب الثالث عشر

في ٤ اذار سنة ١٩٠٠

لم يبقَ في ذهني من تذكارات ذلك الشتاء الاول في نيويورك الا الوحشة المملة التي بعد التصاقي الدائم بابي كانت لديَّ غير محتملة · وبالحقيقة لا اخال اني كنت قادرًا على احتمال ذلك الانفراد لو لا نظري اليكِ واجتماعي بكِ مرّة بعد مرّة

والطف ما اذكره هو حديثنا الطويل لما زرتِ ادارة الجريدة · فان المستر هويتلي تبرّع يومًا بمبلغ من المال لانشاء مكتبة في بعض الولايات الغربية حيثما انحصرت اهم مصالحه في مناجم الزيت · فظننت الفرصة مناسبة وعرضتُ له كتبي ليبتاعها · فلم يقع ذلك عنده موقع القبول · لعله افتكر ان في اعطاء الدراهم اعلانًا للكرم اكثر مما في اعطاء الكتب لكنه قال لي انه يريد ان يجعل ادارة جريدته مجلسًا للكتّاب والعلماء مرّة في كل اسبوع ولذلك هو يظن كتبي موافقة لتزيين القاعة · فاخبرته ان اغلب هذه الكتب في لغات اجنبية فقال وفي هذا من مظاهر العلم والاطلاع ما يزيدني رغبة فيها · فبعته الكتب

لم تكن للمستر هويتلي مزية تؤهله الى مجالسة رجال العقول لكنّ مجرّد كونه صاحب جريدة كبيرة جعل ادارته محط رحالهم عمومًا · فما هذا !

يخجلني كثيرًا ان ارى الكتاب المشهورين ينحطون الى هذه الدرجة لمجرّد الرغبة في ان تقال عنهم كلمة مدح في الجريدة . ويتضاعف خجلي حين اذكر ان قلمي هو الذي يساعد تلك الخطة على الظهور للعيان

في ذات الايام انت ومادام بلودجيت واغنس اتين الادارة زائرات . وقد جعلتني تلك الزيارة سعيدًا ليس فقط بحضورك بل باستفهامات كانت في ظني دليلاً على اني حالٌ عندك محلاً يدعوك الى بعض الاهتمام بامري . عجبت لما رأيتني هناك ولما ذكرت اني كاتم اسرار المستر هويتلي سألتني عما اذا كان هذا الشغل موافقًا . فقلت : عليّ ان اشتغل لمعاشي

— ولكن يا دكتور قلت لي سابقًا انك تشتغل . اوليس الشغل القليل مع الاستقلال افضل من هذا الاستخدام

— نعم اذا كان الانسان حرًا . ولكن اذا كان يجب عليه ان يجمع بعض المال ؟

— آه يا دكتور . ما اقل ما يعرفه الناس عن بعضهم . ومع ذلك نحن نتكلم عن الانانية في الحياة ! ان الخيال هو السائد في العالم

فذكرت لك كتابًا يشرح هذه المسائل شرحًا مسهبًا ولما رأيتك ميالة الى الاطلاع عليه قلت انه موجود في المكتبة . وبعد استئذان

المستر هويتلي قمت واياكِ الى المكتبة واعطيتك اياه

وفيما كنتِ تقلبين الصفحات علت وجهكِ امارة اصفرار مكدَّرة فانحنيت على الكتاب لارى ما رابكِ منه واذا بكِ تنظرين الى حاشية بقلم رصاص علقها المرحوم ابي على هامش الكتاب بخطه . وصرختِ بالمستر هويتلي „ من اين جئت بهذا الكتاب" .

مازي . لو نظرتِ حينئذٍ الى وجهي لرأيتِ فيه اصفرارًا اشدّ من وجهكِ . ولبثت كالصنم انتظر وقع الصاعقة . ولكن ما الطف نجاتي عندما اجاب هويتلي قائلاً : اشتريته من جرمانيا

اطبقتِ الكتاب قائلة انه قديم جدًا ولا تميلين الى مطالعته . واستدعيتِ الانصراف

وخرجتنَّ الثلاث الى العربة وانا اتبعكنَّ مودعًا فتلطفت السيدة بلودجيت ودعتني لاخذ المركز الرابع في العربة فلبيت الدعوة بكل طيبة خاطر . كنتِ ساكتة في اثناء المسير وكنت انا ايضًا ساكتًا احاول استقراء ما كان في تلك الساعة يجول في فكركِ

ولا تزال يا مازي ترنُّ في اذنيَّ كلمات الوداع في ذلك المساء واسائل نفسي عما اذا كنت لم اضع يومئذٍ فرصة ثمينة : هل ان الريب القليل الذي كان عندي والذي لو عرض لرجل اقوى مني لمزّقه كنسيج العناكب وقف يومئذٍ في سبيل راحتي وهنائي ! قلت لي

لما افترقنا على باب بيتك : أكون سعيدةً جداً يا دكتور هرزمان اذا اتيتني زائراً

فاهتززت ابتهاجاً . لاني شعرت بنعمة تحلُّ عليَّ وهي ممنوعة عن الاكثرين . ولكن حتى حينما كنت افكر في الفاظ أوءلف منها جواباً كافي الامتنان والشكر ايقنت اني لم اكن ذا حقٍّ ادبيّ بالتمتع بضيافتك بواسطة اسمي المستعار . وحالما أتلف لساني مع شفتيّ للتكلم كان ذلك لاقول : اشكر فضلك كثيراً يا آنسة ولطن . لكنني رجلٌ اكثر شغلاً من المقدرة على الزيارات الوديّة

فيا ايتها الحبيبة . لو عرفتِ فقط كم كلفتني هذه الكلمات من العناء في سبيل ضبط صوتي وتسكين جأشي وانا اقولها ! لاني علمت انها لا تدل في نظركِ الا على رفضي الصداقة التي تقدّمينها لي . ومهما احاول كتمان خجلي عن نفسي فلم اكن استطيع النجاة من عذاب هاذاك الخجل

وقاكِ الله يا مازي عذاباً كهذا . والآن مساء الخير

المكتوب الرابع عشر

في ٥ اذار سنة ١٩٠٠

مع انني اقترفت نوعاً من الفظاظة في رفضي الزيارة انت يا مازي لم تجعلي ذلك يؤثر اقل تأثير على سلوكك معي . بل ابقيتني متمتعاً منك بلطفٍ قلما كنت استحقه . اجل انكِ من بعد صدودي هذا كنت اشرف نفساً من ان تعرضي لي فرصة ثانية يزداد بواسطتها التعارف بيننا لكنكِ في ما خلا هذا لم تعامليني الا معاملة الكثيرين الذين كان يقضى عليك بان تقابليهم

ومع شدة الفرق بين حياتكِ الاجتماعية وكثرة اصدقائكِ وبين حياتي انا المحبوكة ايامها المتعبة بليالي السهر المضني كنا مع ذلك نلتقي اكثر مما يخال ممكناً . من حين الى آخر كنا نجتمع في منزل بلودجيت ومن حين الى آخر كنا نتناول الطعام سوية على مائدتهم . وما كان اسرعني الى قبول دعوتهم حالما كنت ادري بان مازي تكون موجودة. ومع قلة ما كانت الظروف تسمح لي به من محادثتكِ في تلك الاجتماعات الحافلة كنت اجلس قريباً منكِ انظر اليكِ واسمع كلامك واراقب حركاتك وهذا كان عندي منتهى السعادة

في يوم من ذات الايام اتفق الجمع المحيط بنا على حضور بضعة

مشاهد تمثيلية في احد المراسح وكان هويتلي يستدعيني للذهاب معه بقوله لي : احمل كتبك تحت ابطك واتبعنا · عانياً بذلك ان القصد من وجودي معه لكي افيده عما لا يدرك مما سوف يرى · وكنت اقبل كلامه برضى · مع انك تعلمين ان وجودك هناك فقط كان يحملني على قبول مثل هذا الاستدعاء الفاتر · فما احط ما يمكن للحب ان ينزل الانسان اليه حالما يستولي على قلبه

وفيما كنا خارجين يوماً من الملعب وقد شهدنا فتىً يخاطر بنفسه حباً بمن يهوى سمعتك تعجبين بفعله وتتمنين لو كثر امثاله بين شبان هذا العصر · فقلتُ لك · وهل الى هذا الحد تحبين الشجعان · فقلت نعم ولكني احب ما لا ارى · فقلت لك يا آنسة ولظن ان الشجعان كثيرون وان لم يخاطروا باجسادهم · اليس افضل انهم استبدلوا شجاعتهم المادية بالادبية ? فقلت نعم ولكن اليس من موجبات الاسف انني من بين كل الرجال الذين اعرفهم لا يوجد من استطيع ان اقول بحقٍ انه ,, رجلٌ شجاع ? '' وقبل ان اتمكن من المجاوبة قاطعنا بعض الرفاق بالكلام فانتهى جدالنا

وكان من تهكم الصدف التي على ما يظهر تحب ان تسيء لي لكي تضحك مني ان احد رفاقي يوماً عرّفني بالسيدة (مادام بوليموس) ولما جلست بجانبي تفرّست فيها فاذا بها امي · كانت لها ملامح الصبوة

ذاتها فعرفتها حالاً لكنها لم تستطع حتى الاشتباه بالعلاقة بين الولد الذي فارقته ابن ١٥ عاماً في باريس وبين الرجل الاسمر اللون الذي يكلمها وهو في السابعة والعشرين . تأملت فيها قليلاً وفي الجواهر اللامعة على صدرها وفي يدها . واخذت بالسرّ منديلاً مسحت به دمعة استقطرها ذكر والدي من عينيّ . ولم افه بعد ذلك بادنى كلمة معها . على ان هذه الصدفة بدون ميعاد اسفرت عن ملاحظات لا تزال حتى الآن ذكراها تعذبني

جئت مساء الغد لاتناول العشاء معك ومع عمك في بيت بلودجيت فاعاد بعضهم الى الاذهان ذكر والدتي قائلاً . كان منتظراً منها بعد هذه الزيجة الرابحة انها تدفع الدراهم التي اختلسها زوجها الاول من مازي . فقال عمك . لكانت تقدر على ذلك منذ اعوام لو انها شاءت . فاطرقت برأسك الى الارض حياء وقلت : انني ما كنت اقبل دراهم من مادام بوليوس

وانا في عذابي لبثتُ صامتاً كالصنم . ومرتجفاً من الداخل كلما اصابتني ضربة سوط . حتى خلصني المستر بلودجيت بقوله : اظنّ ان اسراف امرأة ولیم میتلاند صيره مفلساً ومحتالاً . فحاول عمك ان يعيد الرمح في اثر الجراح لولا ان نفسك الشريفة ابت الا الظهور بمظهرها الحقيقي فقلت . انني افضل عدم البحث في هذا الموضوع . لكني اظن

من العدل ان اقول ان واحداً من تلك العائلة ولعله الابن مباشر وفاء الديون

مازي · تمرُّ ببالي غالباً هذه الكلمات فافتكر بها وبما قلته لي في العام الماضي في مصيف ماي فتسي عندما جلست بقربك محاولاً استطلاع دخيلة شواعرك نحونا · أتقدرين مع كل ما جرى ان تكوني حافظة شيئاً من الحنان والانعطاف الى ابي والي ! ما كان اشرف سكوتك لما كانوا يلومونه · لو انك أسأت اليه ــ ··· ولكن ليس هذا ممكناً · فلقد احببته يوماً وهذا وحده يحسب لديك سبباً كافياً لتكوني ذات رحمة على الميت مهما يكن مخطئاً · مساء الخير مازي

المكتوب الخامس عشر

في ٦ اذار سنة ١٩٠٠

قلت لي مرّة انك لا تعتقدين بوجود ظروف تسوّغ المخادعة · لان نتائجها وتأثيراتها على آداب فاعلها تزيل كل ما سبقها من الاعذار · والغلط الذي اقترفته انا قد ايّد رأيك يا مازي تماماً · ان الدور الذي امثله اليوم في حياتي هو اقل ما كان يجب على مثلي احتماله · ولكن لو كنت تعلمين ما انا اضحي وما اقصد لكنت ترحميني بدل ان تلوميني · لقد كانت اول خطوة مني في سبيل الغلط لما دخلت في خدمة المستر هويتلي · ومع انني عالم بعدم اساءته النية في انتحال كتاباتي واستنسابها لنفسه انا اشعر بانه لم يجب ان يكون قلمي مساعداً له على ما لا يجوز · لكنني فعلت ذلك وكل ما جرى بعدئذ مني من الخطاء صار وقوعه ممكناً لانفتاح الطريق امامي · وكان تماديّ في الهفوات يتزايد لان ديونك عليّ يا مازي قد اثقلت كاهلي حتى اعمت بصيرتي عن كيفية كل وسيلة استعملها في سبيل وفاء تلك الديون · حتى انني كنت موقناً بانني اعمل واجباتي · ويذهلني ان اتصوّر ماذا كنت تصنعين لو انوجدت يوماً في ظروفي

في يوم من الايام جاءني المستر هويتلي بتحرير وارد اليه من جمعية

تسأله ان يلقي خطاباً في حفلة تقيمها قريباً · وطلب مني ان اكتب له الخطاب حاسباً اني افعل ذلك كشيء من واجبات شغلي · فقلت له : وكم الاجرة · فحدّق بي نظره باندهال لكنه كان اوسع معرفة بشؤون الاشغال من ان يسوءه سؤالي وقال كم تريد · فعينت له ثمناً رآه كثيراً وكاد يتحوّل عن عزمه على القائه لكنه عاد في اليوم التالي قائلاً انه يدفع القيمة

ولما كتبت له الخطاب كان سروره به عظيماً الى حد انه لم يكتف بالقائه بل طبعه نسخاً عديدة وزّعها على الحاضرين في تلك الحفلة

ونال من بعد ذلك ثناء كثيراً في جرائد نيويورك حتى تزايد معه حب الاشتهار في عالم الاقلام لجاءني في صباح يوم وقال :

دكتور هرزمان · كنت اخبرتني يوماً انك تكتب كتاباً عن الاتراك · فالى اين وصلت فيه

ـــ اتوقع ان انهيه واهيئه للطبع في ٣ اشهر

ـــ انا يا دكتور منذ مدة افكر في تصنيف كتاب واظن ان كتابك هذا يوافق افكاري

فوقع كلامه عليّ وقعاً مذهلاً بهذا المقدار حتى اني بقيت مدة ناظراً اليه لا اتكلم · لم اكن اتصوّر ان الاستئثار مهما يبلغ من الانسان يمكن ان يعميه الى هذا الحد · فعدت الى رأي المستر

بلودجيت من ان التاجر يتصوّر ان كل ما يقدر على ابتياعه بالدراهم يصير له · اذا دفع ثمن الورق والحبر في كتاب يصير قادرًا على انتحال الافكار التي في الكتاب لنفسه · فقلت له · مستر هويتلي ان كتابي ليس معدن زيت

ـــ اذا كان كما اريد اجعل لك ثمنه وافيًا

ـــ ليس الكتاب للبيع

ـــ انا اعلم يا دكتور هرزمان انك ميال الى جمع الدراهم واؤكد لك انك في بيع الكتاب لي تربح اكثر مما يغله عليك اذا طبعته لنفسك

وقبل ان يتم هويتلي كلامه عاد الى ذهني انني لست حرًّا · انا مديون ولا حق لي في ان افتكر بمطامعي وعواطفي قبل ان افي تلك الديون · فتزاحمت خواطري سلبًا وايجابًا وتقاسمني الواجب والشرف وقبل ان اعنو للنتيجة التي كنت اخافها ابتدرته بقولي : وكم تدفع

فسكن جأش التاجر عند ذلك وقال بكل برودة · انه سوف لا يكون كتابًا رائجًا · الامة التركية لم تمثل في التاريخ دورًا مهمًا · فقلت

ـــ سوى انها قبضت على مفتاح العالم القديم وسببت الحروب الصليبية واوجبت اكتشاف اميركا ورأس الرجاء الصالح واضطرت اوروبا الى تنشئة مدنية خاصة بها بدلاً من الاقتداء بمدنية الشرق · فضلاً عن انها وضعت للساسة مسألة حتى الآن لم يستطيعوا وجدان من يحلها

فقال هويتلي : ان كلامك بالطبع يعظم قدرهم فارني الكتاب وبعدما اقرأه افيدك عن الثمن الذي ادفعه فيه

قرأ هويتلي الكتاب . ولو انني كنت في ظروف ارحب واحسن لكان مجرد اعجاب هذا الرجل الأمي بالكتاب وما في اعجابه من الدلالة على ما سيكون شأنه عند العموم ثمناً كافياً لي بحد ذاته عن تعبي في كتابي

وبعد حيرة واسف تقرر اني اقبض ثمن الكتاب من هويتلي ٦ الآف ريال وما تدفعه المطابع له . وهو يكتفي بما هنالك من الفخر

هذه المتاجرة فطرت كبدي لاني كنت قد تعبت على الكتاب اكثر ليالي حياتي وسكبت فيه من قطرات دماغي مكحله في عيني قسماً مني . ومع ذلك ديونك يا مازي كانت اثقل عليّ من ذاتي ووفاؤها كان احب اليّ من كل شيء في قبضة يدي . مهما تكن الوسائط فهي كلها جائزة عندي الى ان افي تلك الديون

مساء الخير مازي

المكتوب السادس عشر

في ٧ اذار سنة ١٩٠٠

اذا كنت قد اسأت التصرف ولم يكن في ذكرى الاساءة شيء من الفخر يسرّني مع ذلك ان اقول انني لم انسَ على الاقل اني اسأت التصرف · وبواسطة تلك المعرفة تمكنت مرتين من التغلب على ما كان ضميري يلقى من التجارب

فاني لما حملت الى المستر بلودجيت ما اعطاني هويتلي من ثمن كتابي كانت قواي خائرة وضميري تعباً · فتلطف الصيرفي واشار الي بابتياع بعض اسهم حديدية لشركة كان متولياً امرها · واسرّ لي بان هذه الاسهم في نهاية العام تربح ٣٠ في المئة · كانت الحاجة شديدة وكانت الفرصة هينة ومغرية فقبلت ورجوته ابتياع الاسهم لي · لكنني لم انم الليل من شدة ما افتكرت بما في ذلك من قلة الاستقامة وما اصبح عليّ الصباح حتى اسرعت اليه مسترجعاً طلبي مع الاعتذار ان الدراهم التي في يدي الآن هي دين عليّ فلا يجوز لي ان اتاجر بها

فابتسم بلودجيت وقال: من حسن حظ شارع وول انكم انتم العلماء لا تسلمون مقاليد الشرائع · ومن حسن حظكم ايضاً انكم لا تحاولون الارتزاق في هذا الشارع مع ضمائركم التي ما كانت تسمح لكم باكتساب

مال كاف لسد نفقات جنازتك بعد الموت جوعاً — · ولما ودعته مع انه كان يتبسم ابتسام الشفقة على ضيق ذمتي شعرت بانه يضغط يدي اكثر من الاول كانما هو شاعرٌ قلبياً باني حسناً فعلت

هذه هي التجربة الاولى · والثانية جاءتني على يد المستر هويتلي· فاني قلت له يوماً ان اكبر مجلة علمية في اميركا كتبت اليَّ تطلب انتقاداً لكتاب تاريخ الاتراك · فقال هويتلي · انَّ هذا من اغرب محاسن الصدف · وهو يضمن لي عبارة ثناء مهمة في مجلة قلما تثني · فقلت

— ولكن هذا غير موءكد · فانت تعلم مثلي ان المجلة لا تمدح كتاباً غير حسن ولا تسكت عن عيب فيه

— ولكن لا يمكن ان تكتب شيئاً غير حسن عن كتاب انت كاتبه · اذ لو كان فيه خلل تعرفه لاصلحته قبل الطبع

— نعم ولهذا انا سوف لا اجيب طلب المجلة

— ولماذا

— اذ لا حق لي بانتقاد كتابٍ انا كاتبه · واصحاب المجلة لو عرفوا علاقتي به لما طلبوا مني انتقاده البتة

— ولكن سوف لا يعرفون ذلك قط

— ولكن انا اعرف

— يا دكتور هرزمان انا ادفع لك ضعف ما هم يدفعون اذا

كتبت لهم الانتقاد

ــ مستر هويتلي . لسوء الحظ توجد حدود للاشياء التي حتى انا اقدر على بيعها

ــ اعطيك ٢٥٠ ريالاً

ــ مستر هويتلي . هل تاجرت يوماً بالضمائر

ــ نعم من حين الى آخر

ــ وهل اشتريت منها يوماً ما هو رخيص بهذا المقدار

ــ كثيراً

ــ اخاف انك تكون قد اشتريت امتعة عتيقة ومستعملة . فاطرق رأسه قليلاً ثم التفت اليّ وقال . ثلثمئة . فابتسمت . فقال وكم تريد ذا . قلت له . اريد مئة وواحداً وثلاثين الف ريال حتى اكتب الانتقاد الى المجلة

ومع ان رفضه دفع هذه القيمة المضحكة كان طبيعياً انا مع ذلك تعجبت من كونه قد رفض . لانه رجل مولع بهذا المقدار بكلمة ثناء تقال عنه في جريدة حتى ليدفع احياناً ما لا يصدّق في ذلك السبيل

ثم إنه جاءني في بعض الايام يقول . دكتور هرزمان . ان احدى الجرائد في الولايات الغربية تقول انك لا تحسن الكتابة بالانكليزية فقلت له ولكن قد رأيت ما قالت الجرائد المهمة عن الكتاب . واخذت

اقنعه بانه لا يجب على الكاتب ان يتخذ دائماً كلام المنتقدين بمثابة قضاءٍ مبرم عليه . ان الكاتب الذي يقضي الشهور والسنين يدرس موضوعه ويفتكر فيه يكون غالباً اجدر بالاستماع من منتقد يقرأ الموضوع مرة ويغالط صاحبه فيه . ولو ان اكثر المنتقدين يفتكرون بذلك جيداً قبل مباشرتهم الانتقاد الذي اكثر ما يكون عنيفاً وظالماً لقلَّ عدد منكسري القلوب بين كتّاب هذا العالم .

ولكن لحسن الحظ لم يجد المنتقدون في كتاب تاريخ الاتراك ما يذمّ فقالوا فيه في اوروبا واميركا كل كلمة صالحة وبذلك راج رواجاً اطربني سرّاً واطرب هويتلي جهاراً . وفيما هو يقرأ ذات يوم تقريظاً للكتاب في احدى مجلات لندن التفت اليَّ كمن غصَّ في جرعة الطرب وقال . دكتور . تحدثني نفسي بتأليف كتاب آخر

الى مثل هذا الحد تنحط النفوس التي ما اشتغلت بالافكار حتى تعرف قيمة الافكار بل انصرفت بكليتها الى الدراهم فصارت تستبيح حتى الافكار بواسطة الدراهم

وعلمت ان تلك فرصة جديدة لتخفيف ديونك يا مازي عن عاتقي الرازح تحتها فقلت له اني مفتكر في تأليف كتاب عن مغاربة مراكش ووعدته بمباشرة كتابته حالما انتهي من درس موضوعه

كان ذلك منذ ٣ اشهر . ومنذ ٣ اشهر لم اشعر بقوة فيَّ

لمباشرة هذا الكتاب . أكان ذلك من تعب ضميري امام ابتداء على غير مستقيم ام من تعب جسمي من مشقات الشغل والاقتصاد في المعيشة — لا ادري . واحياناً ارجو ان يكون انتهاك قواي الحالي نذيراً بقرب مرض ينهي عراك اليأس بيني وبين هذا الزمان

مساء الخير مازي . مساء الخير

المكتوب السابع عشر

في ٨ اذار · سنة ١٩٠٠

في كل يوم اعزم على قضاء المشية بشيء ينفعني · ولكن مهما احاول من الاعمال اجد ذاتي ضعيفاً وخائر القوى · وبكل اغتمام واستيحاش تقودني افكاري الى هذا المكتب وهذه التذكارات · انا اشعر باحتياجي الى مقاتلة هذا الميل لعلمي بما يورثني الاسف على ماضيّ المحزن من الضعف والضنى · لاجل ذلك انظر الان اذا ما كنت اعجز في ليلة واحدة على الاقل عن تذكار شيء من الحوادث السارّة التي جرت لي

عرف الصحافيون الاميركيون رغبتي في الشغل وسرهم النجاح الذي صادفته تآليفي فانتدبني بعضهم للمساعدة في تحرير مجلته · وعين لي وظيفة مصلح الرسائل فكان عليّ ان اجتهد في شغلي لاقدر على العمل الجديد مع بقائي في خدمة المستر هويتلي · وقلما يمرّ ببالي ذكر عمل اقبح من قراءة ما كان يرد على الادارة من سخافات المراسلين · ولكن لا تكره شراً لعله خير · فان تلك الوظيفة القبيحة هي التي سهلت لي سبيل خدمتك مرةً بشيء قليل

فقد رأيت امام ناظر المراسلات ورقة عليها هذا العنوان (الانسة ولطن ــ ٢٨٧ ماديسون افنيو · نيويورك ·) فعجبت من ذلك وسألت الناظر عن قصتها فقال انها رسالة مرفوضة برسم الارجاع الى صاحبتها ·

فهاجني التشوق طبعاً وفتحت الغلاف فرأيت عنوان الرسالة (مشكل المرأة · بقلم ايمز لوطن) ولم احتج كثيراً من دقة النظر لأكتشف اسمك في ذلك التحريف · فسألت الناظر تسليمي هذه الرسالة لانظر فيها قبل ارجاعها وعند المساء اتيت بها الى غرفتي كانني احمل كنزاً

فلما وقفت على الرسالة ادركت انك قد صوّرت فيها مشكل حياتك ذاتها · وكل ما حاولتِ التستر تحته من الاوصاف البعيدة لم يخفِ عن نظري المقصد الجوهري من الكتابة · تلك الفتاة التي بنيتِ عليها هذا الكلام كانت امرأة شريفة · لم تكن تحب بالحقيقة احداً من الرجال الذين ضحوا على مذبح محبتها قلوباً شاعلة بنار الغرام · لكنها كانت تتصور في حياة النساء المتزوجات سعادةً لم تكن هي تشعر بمثلها · فاستقرّ رأيها على التزوّج حتى بدون محبة · وكان احد خطاب ودها رجلاً قديراً مجتهداً طامعاً وغنياً ومعتبراً بين الناس لمقدرته على ان يجمع حوله الادباء منهم الذين كانت تلك الفتاة تحب معاشرتهم ولا يسمح لها الفرق بين ظروفها الاجتماعية وظروفهم ان تجتمع بهم دائماً لكنّ تلك الفتاة كانت دقيقة النظر شديدة التميز فلم يخف عليها ما كان فيه مع كل خلاله الحسنة من الانصراف الى المادّيات · هذا الانصراف الذي تستهجنه النساء طبعاً مع شدة رغبتهنّ الظاهرة في الغنى العالمي · كانت اشغاله الرابحة قد ضيقت افكاره الى حد الانشغال بالامور المجردة الذاتية عن كل عاطفة

وجمال مما تشغف به النفس دون المادة

وقد مثلته في النهاية مستولياً باصراره عليها فاقنعها بموافقته لها وتزوجها

أيمكنني يا مازي ان أتعامى في هذه الرسالة عن قصة غرام المستر هويتلي بك . والذي يذهلني هو كثرة ما ادركته في صفاته من الحقائق الخفية تحت ظاهره الوقور

انا استحسنت الرواية كثيراً وادرا كي لاصلها جعلني ارى فيها مواضع الخلل التي اوجبت على الادارة اهمالها . فكتبت اليك رسالة خصوصية سكبت فيها اشرف ما في جوارحي من المقدرة على تستير نيران المحبة تحت رماد النصح والارشاد . واخبرتك كيف يجب ان تنتهي الرسالة لتعيدي كتابتها على اسلوب جديد . وافهمتك ان نقطة الاعتراض عليها في الادارة كان عدم انطباق الخاتمة على المقدمة . زيجة الفتاة الشريفة النفس برجل لا تهواه قلبياً كانت صعبة على التصوُّر . وانا اعرف سبب صعوبتها . انت ذاتك لم تكوني مقتنعة بصحة النتيجة التي تلقينها على القارئ . وقد ارتبكت في امرها فجاءت بمثابة استفهام لك من الناس عما اذا كانت هذه الزيجة تجوز . موضوعك كان اشد علاقة بشخصيتك من ان تطرحيه في بحر التصور والخيال . وانا حتى الان كنت اعتقد انك لا تميلين الى المستر هويتلي اكثر من سواه من رفاقك . اما بعد ان أيتك تبحثين علمياً في امكانية استيلائه على افكارك فمنذ الان فصاعداً

ر

صرت اخاف ان ينجح ... ثم انني مثلتُ لك متاعب الزيجة الخالية من الحب وكيف تصير تعاسة لذويها بدل السعادة

فكان جزائي عظيماً · كتبتِ الي في اليوم التالي كتاباً من التشكر والامتنان ما كنت اتأخر عن مثل ذلك التعب الف مرة في سبيل الحصول عليه · ولكن لم يسلم عملي من نتيجة محزنة · لانك استكبرت المشقة التي احتملتها في شأن رسالتك حتى تناسيتِ تصرفي الماضي معك ودعوتني الى العشاء تاركةً لي تعيين الميعاد المناسب وذا كرةً لي الحظ الذي تنالينه من حضوري لاجل التكلم سوية في موضوع الرسالة

قليلة هي في ذاكرتي الشؤون التي يطربني حديثها اكثر من موضوع تلك الرسالة ... شعرت بان مجامعي التي أخذ الحب منها كل مأخذ تغريني بقبول تلك الدعوة اللطيفة والمناسبة · وشعرت بان عواطف قلبي لا ترى ضرراً لكِ ولا خطراً عليك من حضوري لاجل مساعدتك في امر مفيد ·

ولكن ولكن · مع كل اشتداد التجربة عليَّ كنت دائماً ارجع الى ذاتي واستنتج بواسطة ضميري انك لو عرفت حقيقةً من انا لما دعوتني الى تحت سقف بيتك ولا قبلتِ مساعدة مني في موضوع

لاجل هذا كتبت اليك معتذراً بان وقتي كله ماجور بهذا المقدار حتى اراني مضطراً الى حرمان ذاتي مسرة قبول الدعوة · وعوضت عن ذلك تعويضاً صغيراً بقولي انك اذا ارسلتِ الي الرسالة بعد اعادة كتابتها انظر فيها وافيدك عما ارى · فكتبتِ الي شاكرة ولما تلاقينا بعد ذلك شعرت باني قد زدت في عينيك غموضاً والتباساً

مساء الخير مازي

المكتوب الثامن عشر

في ٩ اذار سنة ١٩٠٠

لا تكره شرًّا لعله خير . فانّ ما خشيتُ من عواقبه كان بداية سعادتي . لقد اخبرت اغنس يا مازي عن رفضي دعوتكِ لمناولة الطعام معكِ . واول ما قابلتها بعد ذلك اخذت تعاتبني :

— كان ذلك قبيحاً منك . دكتور هرزمان . بعد ما افهمتك عن رقة شعور مازي وعن افكارها بان الشبان المهذبين لا يحبونها . ان تؤيد لها انت هذا الفكر بتصرفك معها هكذا ! لماذا لا تحبها ؟

— انا احبها

— كلا لست تحبها . وانا اظنُّ ان الرجال يبغضون البنات الكاملات لانهنّ يفهمتهم حقارتهم الخصوصية

— انا احبك انت يا آنسة بلودجيت

— لا اصدق . لانك لو كنت تحبني لاحببت احسن صديقة لي . فضلاً عن برودة وضعي انا في مقام مازي ! ما اشد غباوة الرجال

— اذًا يجب ان تشفقي علينا بدلاً من ان تحاكينا بقساوة

— اسمع يا دكتور ما اريد ان افعل . لقد وعدتنا بزيارة في مصيفنا هذا العام وسوف اسعى لتكون مازي هناك في الوقت نفسه . فتكون لك فرصة مناسبة لتعرفها جيدًا . واذا لم تحبها بعدئذٍ سوف لا

اغتفر لك ذلك الى الابد

فسمعت امها هذا الكلام وقالت · اغنس · كفي عن مداعبة الدكتور · انا احب مازي لكني ضجرت من كثرة الرجال الذين احبوها ويسرني ان ارى واحداً على الاقل لم يقع بهواها···

مازي · انا بقيت كل ذلك الربيع مع اشتغالي بمهامّ وظيفتي الشاقة في ادارة الجريدة ومع تشعب افكاري بين مواضيع شتى لا يحصى عددها منصرف المخيلة الى ذينك الاسبوعين اللذين انوي قضاءهما معك · وكنت لجوجاً بهذا المقدار في املي حتى انني لما جاء اليوم المعين واستقبلتني اغنس في محطة القطار عجبت كثيراً من مقدرتي على التمالك عن سؤالها عنك · ومن حسن حظي انها لم تكن اقلّ لحاجة مني لتعلمني بما انا ارجو · فقالت :

— كانت امي تريد الا يكون عندنا احد سواك حتى مازي نفسها · لكنّ ابي اصرّ على لزومها حتى اقتنعت امي · الا ترى ما الطف هذا الوالد ! والآن دكتور هرزمان ستجرب ان تحب مازي · ألا ? وان لم تقدر فعلى الاقل تظاهر بذلك · ارجوك·

فوعدتها خيراً · وكان من غرائب الصدف اختلاف متواصل بين اغنس وامها علينا · كانت اغنس تحاول دائماً ايجادنا سوية منفردين· بينا امها لظنها اني لا احبك كانت تتدخل دائماً لتخليصي من محضرك· وكلما ذهبنا للتنزه في العربة كان الاختلاف يقع على كيف يجب ان

نجلس . هكذا بقيت صديقتاي على حد السيف في سبيل حملي على احتمال الوجود من جهة وتخليصي من المراقبة من جهة ثانية مع الفتاة التي اهواها . حتى انا كنتَ قادرًا على روءية الوجه المضحك في هذه الحكاية

فني بعض احاديثنا على انفراد عدتِ مرة الى ذكر الرواية التي كتبتها الى الجريدة وانكرتِ عليّ اعتقادي بان الفتاة التي مثلتها سعيدة بزيجة خالية من الحب يستحيل ان تكون كذلك . فبان لي من كلامك ان رأيي قد اثر عليك ان لم يكن قد اقنعك . وقلتِ :

ــ انا ارى من الممكن ان تكون المرأة سعيدة بعد الزواج كما كانت قبله . وان كل ذلك يتوقف على المعيشة التي تعينها لنفسها

ــ ولكن بعد الزواج لا تكون المرأة حرة بتعيين المعيشة لنفسها مطلقاً

ــ اجل تكون . اذا كان زوجها يحبها

ــ وبالتالي لا تكون اذا لم يكن يحبها

ــ لا ادري يا دكتور اذا كنت سأزعجك بقولي انه لا ثقة لي بما يدعوه الناس حباً

ــ لن تزعجيني قط يا آنسة ولكن لاني لا اصدق كلامك

ــ لكنه صحيح مع ذلك . قد يكون الغلط مني يا دكتور ولكن اعترف لك باني لم اجد يوماً حباً خالياً من الغاية والمصلحة الذاتية

ــ فاذا كان الحب في عينيك ساقطاً بهذا المقدار لماذا جعلتِ فتاة روايتك تتهالك في سبيله ؟

ـــ لانه يمكن للانسان ان يرغب في ما لا يشعر به

ـــ وهل يرغب الانسان في ما يكره

ـــ النقمة على المال لا تعني ان الناقم يفضل الفقر

ـــ النقمة على المال هي صادقة بقدر اعتقاده بالعجز عن الحب يا آنسة ولطن

ـــ الا تصدقني

ـ الذي يعجز عن الحب لا يميل اليه · ان الطبيعة الحية هي التي تميل الى الحب

ـــ ولكن اذا كان الانسان عاجزاً عن الحب كيف يمكن ان يؤمن به

ـــ ان العود اليابس لا يؤمن بالنار

ـــ ولكن بعض المواد غير قابلة الاحتراق

ـــ الشمس تذيب كل شيء

ـــ ولكن الشمس يا دكتور هي فوق الارضيات ،

ـــ وكذلك الحب

فنظرتِ اليَّ ساكتة هنيهة ثم حدّقتِ نظركِ بي قائلة :

ـــ وهل انك تعتبر الحب بهذا المقدار

ـــ الحب يا آنسة ولطن هو الشيء الوحيد الجدير بان يتعب الانسان في سبيله في هذه الدنيا · اذ ما هي الحياة الخالية من المحبة ؟

ـــ ولكن يا دكتور اذا احب الانسان واذا اعطى كل شيء في

سبيل الحب · واذا ····

فسمنا وقع اقدام · وكنت قد ادركت مغزى كلامك فهمست في اذنك قائلاً · لا يمكن للانسان ان يخسر الحب مهما يخسر في سبيله · ان الحب قائم في ما يعطى لا في ما يؤخذ · وتغلبت عليّ العواطف فكدت ابوح لك بشيء من اسرار قلبي لكنّ السيدة بلودجيت دخلت حينئذٍ فانقطع الحديث

وارادت السيدة التدخل معنا والتظاهر بانها سامعة كلامنا فقالت : هل انت فاهم يا دكتور ماذا تقول مازي ؟ فقلت نعم · اكثر من مازي نفسها

وكنتِ يا مازي قد باشرتِ الذهاب فلما سمعتِ كلمتي الاخيرة انحنيتِ نحوي بلطف وقلتِ لي سرًّا : دكتور هرزمان · لعلنا صرنا على صداقة · قلتِ ذلك وفي عينيكِ اثبات للتعليل لا يخفى عني اذا خفي عن سواي

مساء الخير ايتها الصديقة

المكتوب التاسع عشر

في ١٠ اذار سنة ١٩٠٠

توقعت انا نكون اصدقاء . وكانت نبوءتك في محلها . منذ ابتداء الثقة التي وضعتها بك زالت من بيننا حتى المباعدات التي اورثها امتناعي عن قبول دعواتك اياي للزيارة . وفي الاسبوع الثاني من اقامتنا في ماي قسي شعرت بمقدرتي على تمالك النفس في محضرك للمرة الاولى بعد ما كنا صغيرين في باريس

وفي يوم من ذلك الاسبوع تقابلنا مع والدتي السيدة بوليموس وجلسنا جميعاً لنأكل الغذاء معها . وبقدر ما يسوءني ان اتوجد بقربها علمت من كلامها عنك ان ذلك يسوءك ايضاً . ومن غرائب الصدف ان تكون تلك التي أنا وانت نكرهها سبباً لاجمل محادثة جرت بيني و بينك

فانني فيما كنت احادث احدى الاوانس على المائدة اذا بالسيدة بوليموس تقول لك : كل هذا حسن ومنتظر من كل من يجهد نفسه ليتظاهر بالكمال الخيالي . فاجبتها انت قائلة : ما كنت اعلم بلزوم الطبيعة الخيالية لايجاد الاعتقاد بالامانة . فقالت . مع كل الاحترام اللازم للآنسة ولطن انا اظن عصر العجائب قد مضى ودور المرأة الكاملة من اصعب ما يمكن تمثيله في هذا العالم . فاجابتها اغنس . ذلك لانك لا تعرفين مازي يا سيدة بوليموس . فقالت والدتي . بالعكس . انني اعرف

الآنسة ولطن اكثر من كل من في هذه الغرفة · وأذكر كما كانت اعتقاداتها بالامانة متجسمه في زوج من الغشاشين

وكنت يا مازي محدقة النظر بها فلما قالت هذه العبارة اطرقت برأسك الى الارض حياءً ساترة عينيك الكبيرتين تحت شعور اجفانها الطويلة · فهمست اغنس في اذنيَّ قائلة · اوهْ · قل شيئاً ايها الدكتور لتغيير الحديث · وزادت السيدة بوليبوس على ذلك قولها لك : واظن ايضاً انك لو كنت امينة معنا كما اردت منذ هنيهة ان يكون العالم كله معك لكنت الان تعترفين بحنوٍّ داخليٍّ منك نحو ذينك الغشاشين

قالت ذلك فاودعت قلبي لهيباً · ولو قدّر لي ان اجلس يوماً في مجلس قضاة لمحاكمة رجل قاتل لما فاتني تذكار تلك الدقيقة · لانني شعرت ساعتئذٍ بانني لو كنت مسلحاً وكانت هي رجلاً يقول ذلك امامي لقتلتها · علمت حينئذٍ ان القتل وديعة مستمرة في قلوب البشر. فتجلدتُ على رغم ما كان يورثني الايعاز الى مصدر خجلي من الجزع وقلت لها

ما هو الافضل يا سيدة بوليبوس · حبُّ الغشّ او الحبّ بغشّ·

فقالت · وهل هذا لغز · فاجبتها اظنه كذلك · طالما كل مسألة اجتماعية هي نوع من الالغاز · فقابلي ايتها السيدة ما بين محبة الآنسة ولطن للغشاشين وبين محبة اخرى سمعت بها من امرأة اوصلها تمسكها باقوال

الناس الى حد انها ابت اخذ ورقة الطلاق من زوجها الفشاش لما في سمعة الطلاق من القبح ثم انها تزوّجت بعد موت زوجها باسبوع واحد لاعتقادها ان لا احد يدري بذلك فاية المحبتين هي افضل

فاشتعلت وجنتا امي غضباً . عرفت وعرف كل الحاضرين انني اعنيها . وكان كلامي اشد عليها من وقع السهام . فصمتت وصمت العموم حتى افتتحت ربة البيت حديثاً جديداً ...

وفي المساء كانت اغنس تتوقع فرصة لتشكرني على انفراد على تلك المساعدة العظيمة مني لك . وبعد كلام قليل اشارت اليّ بالذهاب اليك قائلة انكِ قد اختليت طويلاً تحت ظل الكرمة في ضوء القمر ويجب ان تتسلي بحديث مع احد . فذهبت طوعاً ولما بلغت مكانك موجدتك جالسة على مقعد خشبيّ ورأسك منطرحٌ على يديك في تأمل عميق . فحسبت قدومي عليك غير مناسب وتراجعت القهقرى لكنك عند ذلك انتبهت لوقع اقدامي والتفت اليّ فقلت لك معتذراً . لا اريد ازعاجك يا آنسة ولطن فانا ارجع

— اذا كنت يا دكتور اتيت للتنزه في ضوء القمر بسكون فاجلس هنا . قلت ذلك وانحرفت قليلاً لتوسيع موضع لي بجانبك . فجئت وجلست ولبثتِ صامتاً عملاً باشارتك الى (السكون .) وبعد قليل ادرتِ نحوي وقلتِ:

ــ لا سبيل الى تجاهل فضلك مع انه كان مستترًا . لم اشعر قط بعجزي امام هذه المرأة مثل هذه المرة . فهل دلك وجهي على احتياجي الى المساعدة

ــ لم يدلني وجهك على شيء

ــ ولكن هذا عجيب . مرة بعد مرة انت تقرأ افكاري وتفهم مقاصدي . وليس احد سواك يفعل ذلك معي . حتى انني كنت اراك ضاحكاً معي في حين كنت تنظر اليّ بكل وقار ورزانة

ــ اذًا من منا كان يقرأ افكار الآخر . فابتسمت قائلة . ولكن حتى المدة الاخيرة يا دكتور لم اكن مؤكدة انك لا ....لا.... تكرهني . فقد عاملتني معاملة هي في مناقضاتها اعقد من ان استطيع ادراكها

ــ اولا توجد فواصل طبيعية بين كاتب يشتى ليعيش وبين الانسة ولطن ؟

ــ انت اعلى من هذا المقام يا دكتور . كلا . ان شغلك الحاضر لم يمنع الصداقة بينك وبين عائلة بلودجيت . ولعل في الامر سرًا . لعلّ هناك سبباً . ولكن ارجوك الا تجاوب اذا لم يكن لي حق بالقاء هذا السؤال عليك . ولكن صداقتنا الاخيرة هي التي تجعلني اتجاسر على التعمق في البحث الشخصي معك . فلقد كنت اظن ــ او بالحري ارجو ــ انك مهتم في اغنس . اذا ....

ـ وهكذا زوجتني بها في رسالتك الى المجلة · قلت ذلك ساعياً لتحويل الموضوع الى وجه آخر حذراً من نتيجة هذا الكلام الهائلة· فضحكت من قولي · وبعد ان تكلمنا قليلاً عن الرسالة عدت الى الموضوع قائلة : لقد اضعت علي استفادة فهل غيرت الموضوع يا دكتور عمداً ام صدفة

ـ اعترف بان لي شيئاً من القصد في ذلك لا خوفاً من السوءال لان حرف نفي بسيطاً كان كافياً له ولكن خفت مما يتبعه .

ـ ولماذا · الا تريد ان تقص علي سيرتك

ـ أوليست اشياء لا يعبر عنها بالكلام يا آنسة ولطن · فهل تقدرين ان تقصي علي سيرتك

ولكن قصتي غير مجهولة · كل الناس يعرفونها · ومساعدتك لي في هذا المساء تدل على انك انت ايضاً تعرفها وربما تعرف عنه حقائق اكثر مني

ـ حقائق نعم · ولكن تأثيرات كلا

ـ فالآن اخبرني يا دكتور · اين عرفتها · في جرمانيا طبعاً

ـ نعم

ـ وهل بسببها اتيت الى اميركا

ـ كلا انها كانت ولا تزال في مقام مختلف عن مقامي

ـ لا تجعل ذلك حاجزًا · فكل امرأة ...

ـ وفضلاً عن ذلك · عليّ واجبات تجعل زواجي اليوم خارج الموضوع

ـ وهل لاجل تلك الواجبات ضحيت شهرتك في سبيل اكتساب المال

ـ لاتبعدي المسألة يا آنسة ولطن · فقد اخبرتك عما اجد في الحب من السعادة

ـ تجعلني متخرة بصداقتك يا دكتور · فسى انها .... تكون لائقة بهذا الحب · والآن اسألني انت عما تشاء

فتأملت في هذه الفرصة السانحة قليلاً ومع شدة رغبتي في ولوج طيات صدرك المفتوحة امامي تذكرت اني في تستري الحالي غير جدير بان اتمتع بما تعرضينه لي من وسائل الاستطلاع وقلت بكل بساطة لا سؤال عندي لالقيه

ـ اذًا بالطبع لا يجوز لي ان اسأل بزيادة

وانتهى حديثنا عند ذلك · وكان القمر قد مال في مسيره وحانت ساعة الرقاد فقمت واياك متراجعين تحت ظلال الاغصان المتمايلة وقبل ان نبلغ باب البيت سألتني عما اذا كنت حقيقة اعتقد بان محبة النشاشين هي صالحة فقلت لك · ان المحبة شريفة بحد ذاتها اينما كانت متى ابتعدت عن الذات · فتنفست الصعداء انتعاشاً وقلت · كم يسرني ان اعلم ان هذا اعتقادك · فانا اشكرك كثيرًا والآن مساء الخير يا دكتور ·

ـ مساء الخير مازي · مساء الخير

المكتوب العشرون

في ١١ اذار سنة ١٩٠٠

لما رجعت من ماي قسي كان الثنا علي مل في اغنس • كانت تقول لي من حين الى اخر: كنتِ عارفة انك ستحب مازي بعد ان تعرفها • ولسوء الحظ اول مقابلة لنا في المدينة خالفت ظن اغنس - ففي يوم كنت حسب عادتي اتمشى في شوارع المدينة التقيت بكِ في شارع (الافنيو) السادس • كنت مع اغنس في مركز المخازن الكبرى تشتريان هدايا ميلادية لاولاد مدرسة الحي • وكان الظلام مداهماً ولم تجدا عربة للركوب فاقترحتِ انت المشي الى البيت لانه لم يكن بعيداً - وسرنا وكان الثلج يتساقط رقعاً صغيرة رقيقة شبه اوراق متطايرة من زهور الشجر • فلما اقتربنا من منزلك قالت اغنس: اذا دخلنا هل تقدمين لنا شيئاً من الشاي • فاجبتها بالايجاب قائلة: — الشاي والكعك والشكولاتا والحديث • وبكل ما يشعر به القلب البشري من المرارة لم اتمالك من ان اقول: اما انا لحزين لقصر وقتي عن ذلك

فتغامزتما انتِ واغنس وارادت هي الالحاح علي بالدخول لكنك لم تسمحي لها بل قلتِ باعتزاز • لا يجب ان نضيع وقت الدكتور هرزمان • اغنس • فهل انت تدخلين • — كلا • يجب ان اعود الى

البيت قبل اعتكار الظلام . مساء الخير مازي

ولما ابتعدنا عن مسمع الصوت منك التفتت اغنس اليَّ وقالت . انا ابغضك . ولما لم اجبها بشيء قالت . وما يدعوك الى هذا التصرف القبيح . ولما لبثت ساكتاً قالت . لقد اخبرتك عن كدر مازي من هذا العمل وافتكرت انكما تفاهمتما جيداً وها انت تكرر الاهانة . الا يمكنك ان تقول شيئاً

— ليس عندي شيء اقوله يا آنسة بلودجيت

— وهل تريد ان تذهب معي لزيارة مازي قريباً

فهززت رأسي سالباً وبقينا سائرين حتى موضع الافتراق فتركتني اغنس بدون كلة وداع

ومنذ ذلك الحين هي عاملتني بكل برودة . وفي شهر كانون الاول التالي حدث ما زاد البرودة واوشك ان يوقعني بلسان السيدة بلودجيت نفسها . فان المستر بلودجيت جاءني يوماً الى ادارة الجريدة وقال . دكتور . لقد اخذت الحرية باستعمال اسمك فاجبته .

— باي معروف جديد انا مديون الآن ؟

— اعلم اني عضوٌ في جمعية الفيلوماثيين . وليس هذا لاني كاتب او شاعر بل لاني ماهر في طريقة اشغالي وهم يريدون كل ماهر في كل صناعة ليجمعوا مناظر من احسن من في المدينة . ومنذ شهر ايلول

انا وبعض اصحابي تتكلم في شأنك والسبت الماضي تمّ قبولك

— لكني فقير الحال

— انا عارف انك ستمتنع بهذا الكلام · ولكن اعلم ان وجودك بين اعضاء الجمعية ومنهم المحررون والطابعون والكتاب والشعراء يفيدك اضعاف المال الذى تخسره على راتب الجمعية

واردت الاعتراض لكنّ هويتلي اسرع لنجدته قائلاً · اقبل العضوية دكتور هرزمان · والادارة التي تستحسن ان يكون فيها عضوٌ فيلوماتي تقوم بدفع النفقات · فقال بلودجيت · هويتلي انك رجل اشغال حقيقي · مهما تكن غير ذلك · ثم نهض فودعنا وقبل الانصراف قال لي انه ذاهب الى خارج المدينة وفي غيابه تقيم الجمعية احتفالاً يجب ان تشهده زوجته وابنته فيجب ان اراقفها اليه

ولما اخذت اجوزة الدخول الى السيدة بلودجيت واغنس وجدتها هناك مشغولة معها بالاستعداد لحفلة تقيمينها في منزلك مساعدة لاولاد المدرسة · فقالت السيدة

— دكتور · ثمن جواز الدخول الى (هذه) الحفلة خمسة ريالات · ويجب ان تبتاع واحداً

علمت ان هذه حيلة على ادخالي الى منزلك · ولم اشأ الوقوع بين ايدي فاحصة قاسية كالسيدة بلودجيت فالتمست في فكري عذراً ولم اجد

انسب من فقري وعدم تمكني من دفع خمسة ريالات . لكنّ السيدة لم تشأ ان تفهم كلامي فاوعزتِ اليها انت بتركي في حال سبيلي . وقبل ان اقول شيئاً غيرت الموضوع وانتهى الامر

وبحسب اشارة مادام بلودجيت ارسلت اليك دعوة لحضور احتفال جمعية الفيلوماثيين فاتيت ومن حسن حظي انني عرفت مركزك سريعاً شأن الذي يكثر التفتيش على شيء واحد فهو لا يلبث ان يراه لكنني لم اكد اجلس بقربك حتى فاجأنا المستر هويتلي

ولما ابتدأ التمثيل كان سرورنا عظيماً حتى انك ادرتِ الى هويتلي بتعجب سائلة : وهل كل اعضاء هذه الجمعية ماهرون الى هذا الحد . فقال

— ان هذه الجمعية تضمّ اناساً من ابرع مَن في المدينة على ان المتناهين في البراعة لا يهمهم الدخول في الجمعيات

— لماذا مع ان الجمعيات مفيدة وضرورية لكل طبقة من الناس

— هذا هو الشائع على افكار الناس والحقيقة ان بعض مشاهير هذه المدينة ليسوا اعضاء في جمعية . وهنا ذكر ٣ اسماء مشهورة

فقلت بكل حرية : ان الذين ليسوا اعضاء في تلك الجمعية هم كذلك اما لانهم يعتقدون انهم عبثاً يحاولون دخولها واما لانهم حاولوا الدخول عبثاً

فاحمرّ وجهه خجلاً . لكنه تجلد وقال : ان الاعضاء يحسدون من يفوقهم معرفة واختباراً فلا يقبلونه ما بينهم

هكذا هذا الرجل يتجاسر ٠٠٠

آه ٠ ان الساعة تدق مشيرة الى ان الوقت صار متاخراً اكثر مما افتكرت ٠ يجب ان اكتفي ٠٠٠ مساء الخير مازي

المكتوب الحادي والعشرون

في ١٢ اذار سنة ١٩٠٠

دعاني المستر هويتلي يوماً الى مناولة الطعام في بيته وبايعاز منه علمت انك ستكونين هناك · فلا حاجة الى القول باي رضيٍّ قبلت الدعوة · ومع ان الضيوف كانوا كثارًا اتاح لي النصيب ان اكون جنبيك على المائدة وذلك برغبة خصوصية من صاحب الدعوة الذي فضل على ما يظهر ان تجالسني مناظرًا له مثلي قليل الامل بالفوز · وجلس هو في الجانب الاخر وبقربه كانت مادام بلودجيت · فتم حظي بذلك لانها بالطبع شغلته عنك بحديثها طول الوقت وكان يلتفت اليك ويكلمك من حين الى اخر وحالما تدعوه جليسته كنت تديرين نحوي غير مكترثة لاكمال الحديث معها معاً · واخذت يا مازي تشكرين لي كتاب الاتراك الذي انتشر باسم هويتلي وتعجبين من حسن تنسيقه وبديع تصوراته وتظهرين عجباً اعظم من إظهاري انا المسرّة بكونك تحبينه بعد ان كنت متوقعة مني عكس ذلك نظرًا لما هو مشهور من التحاسد الطبيعي بين الكتاب

ولما انتهى الاكل وقام الناس الى القاعة الكبرى استدعاني هويتلي الى جانب وكلمني في ما دل على سبب دعوته اياي · قال :

— دكتور هرزمان · لماذا لا ينتخبونني عضواً في جمعية الفيلوماثيين·
فاجبته لا اعلم · فقال · اوما تشتغل انت لحل الاعضاء على انتخابي ·
قلت ان الوقت الذي انقضى على اشتراكي قصير لا يخولني حق التدخل في هذا الامر فقال ولكن انت محبوب هناك يا دكتور وعدم سعيك لمساعدتي يدل على غير ما توقعته منك · قلت · ولماذا توقعت مني مساعدة · انني لو لم أكن في خدمتك لما كنت اشتغل الا ضدك

— ولماذا

— لا تضطرني الى قول اكثر من ذلك · مستر هويتلي · فانم الان لا اتدخل في امرك ولا اعارض قط في انتخابك

— ولكن اليس عملك هذا نكران جميل · فماذا تظن ان ادارة الجريدة تدفع عنك الراتب

— لم اعلم قط يا مستر هويتلي انك بدفع الراتب عني اشترطت عليّ شرطاً · ومن العار ان تطالبني الان بشيء لم يجرِ ذكره ما بيننا على الاطلاق · فانت انما قلت انه يجمل بالجريدة ان يكون من محرريها واحد في الجمعية ولذلك لا ارى من واجباتي الاعتراف بادنى حق لك بالشكر مني

— اظن انك تنتظر مني شيئاً من المال مقابل عملك · فكم تريد لاجل انتخابي ؟

هنا لبثت ساكتاً على امل ان يفهم مقدار استيائي من انزاله اياي الى هذه الدرجة . قال . لا ادري لماذا لا ينتخبونني فلي شهرة في الكتابة وعمل الخير والنجاح في الاشغال الى حد يجب ان يكون كافياً لهم . قلت

— ولكن هذه الجمعية لا تبني حكمها في مقدرة طلاب عضويتها على ما يقول العموم عنهم بل على ما يفتكر الاعضاء فيهم . فكم من رجل مشهور بالكتابة بين الناس والكتاب يعلمون جيداً انه لا يعرف من الكتابة الا اجرة الكاتب . فالمحررون المشتركون في الجمعية كلهم يشتغلون ضدك لانهم يعتقدون ان الكتابات التي اشتهرت بها تستلزم علماً وتمريناً اكثر كثيراً مما تم لك يا مستر هويتلي . فقال

— اذا اتممت انتخابي فاني اعطيك — فقلت

— مستر هويتلي . اذا كنت تشاء ان اخرج من بيتك ومن خدمتك فيمكنك اشعاري بذلك من دون اهانتي

فتوقف عند ذلك عن الحديث واكتفى بقوله لي . دكتور . منذ الان فصاعداً انت تدفع الرسوم عن نفسك . فاحنيت رأسي ايجاباً مسروراً بانتهاء المسألة على هذه الصفة

ولما آن وقت الرحيل دعتني السيدة بلودجيت لركوب العربة معك ومعها فرضيت شاكراً . ولما كنا في الطريق علمت ان الحديث الذي

جرى بيني وبينك قد ازال من فكرك استياءً سببه رفضي التواصل ان ازور بيتك فسألتني السماح لك بارسال جواز دخول اليَّ للحفلة التي تقيمينها في منزلك للاولاد

وفيما انا احار جواباً قاطعتنا السيدة بلودجيت بقولها : انني اشتريت جوازًا بزيادة لكي يكون الدكتور هرزمان معنا ما زال المستر بلودجيت غائباً . فشكرتكما قائلاً

ــ ولكن يصعب عليَّ الحضور جدًا . فقالت السيدة

ــ مستحيل . سوف تعمل كما اقول لك

اما انتِ يا مازي فلم تتكلمي . بل لاول مرة في مثل هذه الحال حدّقت فيّ بعينيك اللتين اشعرتاني بما سببته لك من التألم . ثم قلت

ــ انا حزينة فقد افتكرت ورجوت باننا كنا سنصير على صداقة

ولم يكن عندي شيء اقوله . فافترقنا هكذا . ومنذ ذلك الحين قلما رأيتك يا مازي . وعندما اراك انتِ لا تسهلين لي السبيل لمحادثتك. واصراري على رفض الذهاب الى الحفلة هاج نقمة السيدة بلودجيت وابنتها اغنس عليَّ حتى لم تدعواني بعد ذلك الى منزلها . وهكذا خسرت اكثر الفرص سنوحاً للاجتماع بك . ولكن اصعب عليَّ حتى من هذه الخسارة كان افتكاري باني سببت لك الماً . واصعب من هذا ايضاً ان هذا الالم كان بالحقيقة غير مستحق وبالظاهر غير معقول

فكم انا الان اصبو الى الساعة التي نجتمع فيها امام تلك المعركة العنيدة · حيثما كل حياتنا وليس الظاهر منها فقط ستنكشف للعيان

منذ شهرين لم اذق طعم السعادة ولا لذة الرجاء · قد استولت عليَّ الوحشة والضجر · وقوايَ تنحل يوماً بعد يوم · فيا حبيبتي · اسأل الله ان يجعل افكاري بك داعياً لتقويتي وتنشيطي حتي اتابع هذا الكفاح الي النهاية · مساء الخير

المكتوب الثاني والعشرون

في ١٣ اذار سنة ١٩٠٠

بينا انا جالس في غرفتي ارجف من شدّة البرد اذا بساعٍ دخل عليَّ يحمل دعوة لي من المستر بلودجيت الى مكتبه في شارع وول على جناح السرعة . فخففت مجيباً ولما دخلت المكتب هدئ روعي لما كان هنالك من الدفء والحرارة بالنسبة الى برودة غرفتي . فحييته وجلست واصغيت الى قوله التالي :

— يصعب على الرجل احتمال النساء متى اصررن على شيء . فاليوم على المائدة قلت للمادام ولاغنس اني سأدعوك للطعام يوم الاحد فادركت عند ذلك ان بينك وبينهما شيئاً . ولا حاجة بي الى اعادة كل ما قلته لهما . فقد اخبرتهما انهما لو فتّشا عشر سنوات عن وسيلة لإزعاجك بها لما وجدا انسب من معاملتهما الاخيرة لك . وانهما لاتعلمان عن حقيقة امرك شيئاً . وان تسعة رجال من بين عشرة في ظروفك كانوا انتحروا منذ زمن طويل . وانهما بدل معاملتك بالحسنى والاعتبار كما يستحق شريف نفس مثلك اخذتا تخترعان الطرق للاساءة اليك بكل غباوة . واؤكد لك الان مع انني لم اخبرهما حرفاً واحداً عن سرّ مسألتك انهما اقتنعتا بكلامي وسيكون استقبالك عندنا منهما يوم

لاحد حاراً للغاية

ــ اخاف يا مستر بلودجيت ان . . . .

ــ لا تخف شيئاً . اريد ان تكون كلمتي مقبولة في ذلك البيت كما هي مقبولة في هذا الشارع . انت تعلم انني قد عرفتك جيداً . وبناءً على اختباري اقول لك انك في الثبات والاخلاص اعظم رجل نظرته عيني . اصبر قليلاً فان هذا السعال شديد عليك

وجاء بقليل من الوسكي مسكوباً في كأسين وشربنا . ثم عاد الى كلامه فقال :

ــ ولا تظن اني استقدمتك الآن لاجل هذا فقط فقد تكلمت في شأنك كثيراً مع مادام وهي اطلعتني على انك واقع في الحب

ــ مستر بلودجيت انا لا اعرف احداً غير واقع . ان لم يكن في حب امرأة ففي حب نفسه

ــ ولكن مادام تظن انها تعرف الفتاة . انما يسوءها منك انك لا تتكلم . فالنساء لا يكترثن كثيراً للرجل الذي يحب ولا يقول ذلك . اما انا فطبعاً اعلم ان ديونك لا تسمح لك الان بالافتكار في الزواج

فاكتفيت باحناء رأسي ايجاباً لانني حتى له لم اشأ ان ابوح بحبي لك من فرط ما كان هذا الحب مقدساً عندي

فاقترب مني وقال · ليس في الدنيا رجل آخر يهمني ان اقول له ما ساقول لك · فاسمع · ان مادام تحبك كثيراً وهي التي بعد ما امكنها ان تعرفه عنك الحقّ عليَّ بوجوب مساعدتك على تحصيل البنت التي تهواها

— ولكنها لا تعلم شيئاً عن ديوني

— وكم هي ديونك الآن

— مئة وثمانية عشر الف ريال

— اسمع · انا ادين زوج اغنس مئة وثمانية عشر الف ريال بفائدة ٣ في المئة واترك لها الكمبيالة عندما اموت

فلبثت صامتاً هنيهة كمن اصابته صاعقة · وزاد على ذلك قوله · انا تعجبت مثلك عندما اخبرتني مادام عن حسن العلائق بينك وبين اغنس

— ولكن تلك العلائق لم تكن اكثر مما بينها وبين سائر اصدقائها

— اسمع · ان هذا ايها الصديق لم يكن مقصدي انا · ولقد كنت اتمنى ان تتحسن الحال بينك وبين مازي ويصير التقارب المنتظر · لكن مادام توءكد لي انك لا تحب مازي مطلقاً وانها تقريباً صارت خطيبة هويتلي تماماً · خذ قليلاً من الوسكي قبل ان يمزق هذ السعال صدرك

وكنت حينئذٍ في اتعس حالاتي عاجزاً عن التكلم لا ادري كيف

واين انا . فقال

ويجب ان تعلم انني لا اطرح عليك يد اغنس لولا تأكيد مادام لي بان ذلك ممكن ومرغوب فيه فانا فضلاً عن كرهي التدخل في شؤون الحب على الاطلاق لا اجهل ان اغنس لا تحتاج الى من يسعى لها وهي لو رمت منديلها على الارض غداً لما عدمت خمسين شاباً يتسابقون لمناولتها اياه

— نعم مستر بلودجيت . واعلم ايضاً انني لا اجد الفاظاً اوضح بها مقدار تشكري

— انا عارف انك سوف تفهم مقصدي ولا تحمل كلامي على المحمل المعتاد في مثل هذه الظروف . فانت الان جرّب لنفسك ان تستميل اغنس اليك . انا وامها لا نساعدك على ذلك بل نسهل لك السبيل . وانت مع كونك تحب ابنتي تعلم ايضاً ان ما يقال في الزواج غير مبني على قياس . ومتى كان الانسان عارفاً واجباته نحو زوجته وعاملاً بها فالحب يوجد من تلقاء نفسه . ولا تجاوبني الان بشيء على الاطلاق بل افتكر في الموضوع اسبوعاً كاملاً ثم تعال اليّ واخبرني

كنت احاول ان اخبره عن محبتي لك لكنّ لساني كان منعقداً من فرط ما اثر علي ما قد سمعته . فهززت يده شاكراً بدون تكلم ورجعت الى هذه الغرفة استنيم ذاتي بكتابة هذه السطور . ولقد

فكرت في خطتي المستقبلة فعزمت على ان تكون هكذا · اذا صح يا مازي ان المستر هويتلي قد تغلب عليك يكون كلام المستر بلودجيت مرجعي الوحيد · سأقول له يا مازي اني طرحتك من فؤادي بالكلية · وان يكن ذلك على رغم ارادتي · سأذهب الى اغنس واصرّح لها بكل شيء · واعدها من المحبة والاخلاص بما يكون في طاقتي · تلك الفتاة اللطيفة يا مازي تستحق اكثر مما استطيع ان اعطيها ؛ وانا اكاد لا اصدّق بانها تقبل عطيّتي التافهة · ولكن اذا هي قبلت سيكون تعب حياتي محصورًا بان اكون لها زوجًا امينًا ومحبًا · وحتى لو انها لم تكن بالحقيقة كما هي لكان مجرّد افتكاري باني عوضت بواسطتها ما اصابك من بيتنا من الاساءة كافيًا لايجاد كل امانة وحب لها في قلبي

مازي · لعلّ هذه المرة الاخيرة التي يحق لي ان اقول فيها · مساء الخير مازي · مساء الخير

المكتوب الثالث والعشرون

في ١٤ اذار سنة ١٩٠٠

بعد ظهيرة ذلك النهار ذهبت الى منزل بلودجيت لاقابل السيدة. لم يمنعني انحلال قواي من المسير لان عذاب افكاري كان اشدّ من الم جسدي . دخلت الدار فاخبرني الخادم بان السيدة بلودجيت في غرفتها الخاصة تبدل ثيابها استعداداً للذهاب الى حفلة راقصة . فارسلته اسألها مقابلتي هنيهة فقط لامر مهم فكان جوابها استدعائي الى غرفتها . وهو تسامح دلني بحد ذاته على تمام رضاها حتى لو لم يكن استقبالها اياي ما كان عليه من الحرارة والترحب

وبكلمات متقطعة وصوت خافت مرتجف اذعت لها يا مازي سرّ محبتي لكِ . فكان كلامي عندها اعجب من ان يصدّق . لكنني اقنعتها بعد حين فاخذت تسألني عن سبب تصرفي في الماضي ولماذا لم ازر مازي في بيتها يوماً وهلمّ جرّاً من الاسئلة التي لم يكن جوابي عليها الا انني غير قادر على الجواب . فضاق صدرها من ذلك وقالت : اذاً لماذا اتيت تتعبني في هذا الحديث

— لاني اريد ان اسألك . مادام بلودجيت . اذا كان لك حق بان تخبريني عما اذا كانت الانسة ولطن مخطوبة للمستر هويتلي

— تقريباً

— وهي قالت لك ذلك ؟

— ,, انني غير قادرة على الجواب '' استحسن طعم دوائك ذاته

— مادام · لو علمتِ كم تهمني معرفة الحقيقة في هذا الامر لما عاقبتني هكذا على ما لا استطيع سواه · لو كنت قادرًا على البوح بسرّ حياتي لاحد لبحتُ به لك · انتِ التي من بعد واحدة فقط في العالم احب نسمة حية الى قلبي · فلا تعذبيني بانتظار غير محتمل

عند ذلك اقبلت السيدة نحوي وجلست على الكرسي بجانبي وقالت ,, ان هويتلي طلب يد مازي منذ ٤ سنوات لكنها لم تقبل لنفور فيها من رجال التجارة · لكنه لم يقنط عند هذا الرفض ولا تخلى عن مواصلة التجربة مع انه لم يفلح كثيرًا على ما يظهر · لكنه اخيرًا تمكن من امتلاك قلبها على ما اظن بالكتاب الذي الفه عن الاتراك فان مازي تعشقته من بعده وهي قالت لي انها رأت فيه دليلاً على كون داخلية هذا الرجل غير ما يبدو على وجهه في الاجتماعات · وان كتابة مثل هذا الكتاب تقتضي خلقاً شريفاً وعقلاً سامياً ''

سكتت مادام بلودجيت · وسكتُّ انا ايضاً · كل احزاني الماضية لم تكن شيئاً بالنسبة الى هذه النكبة · فيا لعمى قلبي وضعفي · كيف افتكر يا مازي اني انا الذي ساعدته على امتلاك فؤادك · وان يدي هي التي

اخترعت الشرك ونصبته . لماذا لم اقطع خيط حياتي منذ ٣ سنوات. فانجو بذلك على الاقل من هذه الغلطة الثانية التي اقترفتها في سبيل اصلاح الغلطة الاولى فكانت افظع منها بمراحل . في المحافظة على شرفي وعزة نفسي انا خدعتك يا مازي يا احبّ النساء اليّ وقضيت عليك بهذا النصيب

هذه الافكار في رأسي تمثلت على ملامح وجهي فقالت لي السيدة بلودجيت . لا تغتم الى هذا الحد . رودلف . (وهي اول مرة نادتني بهذا الاسم تحبباً .) فان في حياتك سبيلاً واسعاً بعد السعادة

قالت ذلك فقبلت يدها بدل الجواب . ثم قالت : انا حزينة . لاني توقعت شيئاً غير هذا . فقلت لها . مستر بلودجيت اخبرني عن كل شيء . ثم افهمتها عن خطتي التي وضعتها في المساء البارح فقالت . سوف لا تتكلم عن ذلك اكثر . من اجل سمعة اغنس وسمعتك انت . رودلف . فلعلك بعد ما تزول هذه العارضة تعود الى محادثتي في الامر واذا شعرت يوماً بانك قادر ان تكون زوجاً صالحاً لابنتي انا لا اخاف من تسليمها اليك اذا استطعت الفوز برضاها

فودعتها وانصرفت وقبل بلوغ الباب سمعت انغام البيانو في القاعة فتجسست واذا بك يا مازي جالسة امام الآلة الموسيقية تقتلين الوقت في انتظار السيدة بلودجيت . فوقفت على الباب مصغياً وكان ظهرك

مداراً لنحوي • فلم تمرّ هنيهة حتى التفتِ الى جهة الباب اما عن اشتراك في الشعور واما عن شعور بوجود احد فرأيتني وقفتِ للحال واقفة • فقلتُ :

ارجوك يا آنسة ولطن ان تتابعي الضرب • فحاولتِ التمنع لكني كررت الرجاء فعدت بلطفٍ تسامى معناه اذ ذاك في نظري تحرّكين الانامل اللطيفة على مفاتيح الاوتار فتصدح بنغمٍ محزنٍ ما كان انسبه الى حالتي في ذلك الحين • واستولى عليّ دور من السعال الشديد ذهب برشادي فافقت لاراك واقفة بقربي تقولين : انت مريض دكتور هرزمان • فهل يمكنني ان افعل لك شيئاً • فاستجمعت قواي كلها للتكلم وبصوت يكاد يختنق بالغصص هتفت قائلاً

ــ يا آنسة ولطن • امامك الآن اتعس خليقة على وجه الارض انت فقط تقدرين على تخليصها من عذابها القتال

فنظرت اليّ بعينيك الكبيرتين نظرة الذهول والعجب وقلت بلجاجة : ماذا استطيع ان افعل؟ اما انا فقد ارسلت كلامي بدون افتكار • وكل همي كان منصرفاً الى وجوب تخليصك من رجل انا اوقعتك في هواه • فقلت : ارجوك الا تتزوجي بالمستر هويتلي

عند ذلك برزت كالهة الجمال وقبل ان تدبري اهمية كلامي المرمي جزافاً بقيت برهة تحدقين النظر فيّ • وبعد سكوتٍ قليل سمعتك تقولين:

فما انت تدرك ما تقوله . دكتور هرزمان . قلت . نعم انا مجنون في تعاستي

— ولكن . انت الان مديون لي بايضاح كلامك العجيب . لماذا لا اكون سعيدة في زواجي بالمستر هويتلي . — لانك منشوشة فيه . — بماذا — لينست سريرته كما تظنين . — اوضح زيادة . — لا اقدر. — ولماذا — لا يسمح لي الشرف — وليس سكوتك الان اشرف لك. — لا اقدر ان اقول اكثر . — ولكن . . .

فاذا بصوت السيدة بلودجيت يسمع قائلاً : مازي حان الوقت . فوقفت للذهاب قائلة : لا بد لي من الاصرار على معرفة الطوية في وقت آخر . وبدون كلمة وداع تمايلت امامي كالملكة في قصرها وعيناي وافكاري تتبعك الى الباب وما بعده

رجعت الى البيت متقلباً بين عوامل اليأس والندم مسائلاً نفسي عن الطريقة المثلى لاتبعها . آه يا مازي . لو كان لي حقٌ فقط لاخبرتك عن كل حادثة الخديعة . لافدتك عن اصل ذلك الكتاب وان كان في الافادة اخلاف بعهدي وشرفي . لو كان شرفي وحده معرّضاً للخطر لما تمنعت عن تضحيته في سبيل نجاتك . مع ان المحافظة على الشرف هي كل ما ابقت لي الظروف الحاضرة. ان اذاعتي سرّ الكتاب تعني اكثر من شرف عهدي . تعني المال الذي اخذته لقاء ذلك من هويتلي ولا سبيل لي الى ردّه . سأروي لكِ عن قساوة هذا

الرجل واتوسل اليك بان تسألي المستر بلودجيت عما اذا كان ينصح لك بالاقتران بهو يتلي · وعما اذا كان يزوجه اغنس فيما لو خير بذلك · يذوب قلبي رغبة في مساعدتك · لكنني لا اقدر على الافتكار باكثر مما استطيع

فعسى ان يفعل الله ما لست قادرًا عليهِ · مساء الخير

المكتوب الرابع والعشرون

في ١٥ اذار سنة ١٩٠٠

ازداد السعال عليّ حتى لم اجد في اعصابي قوّة كافية لتحملني الى مكتب المستر بلودجيت · فبقيت في غرفتي حتى الساعة الثامنة مساء واذا بساعٍ يحمل اليّ هذه الورقة :

,, الانسة ولطن تشعر بان لها حقاً بدعوة الدكتور هرزمان الى منزلها في هذا المساء لما يتعلق بالحديث الذي لم يكمل عشية امس ''

ادركت الامر الصادر في هذه الكلمات · وافتكرت بان في طوعي امرك عذرًا كافيًا على اهمال موانع ضميري عن دخول بيتك · واستجمعت قواي على رغم السعال والحمى ومشيت · ادخلني الخادم الى المكتبة · فعادت الى ذهني ذكرى الليالي الخوالي · ثلاث عشرة سنة لم اكن رأيت هذه المكتبة · وفي ظروفي المحزنة وجدت سبيلاً الى السرور بانها كانت سليمة لم يتغير فيها شيء · حتى الكُتب كانت مرتبة على النسق القديم · ولم تتأخر عيناي عن رؤية المجلدات العتيقة التي طالما وضعنا الواحد منها على حضنينا وتأملنا في الرسوم الهائلة والمذهلة · جال ذلك في خاطري وفي هنيهة من الزمن نسيت اتعاب جسمي وهول الحديث الذي ينتظرني

دخلتِ عليَّ بغتةً فيما انا غارق في لجج التفكر . وقلت بلطف اعتيادي . دكتور هرزمان . قد نسيت انحراف مزاجك ولولا ذلك لما استدعيتك اليَّ في هذا المساء البارد . فلعلَّ افتكار يوم كامل اقنعك بوجوب التصريح لي بأكثر مما قلته امس . فاجبت . آنسة ولطن . انتِ التي لا تعلمين عن حراجة مركزي شيئاً تقدرين طبعاً ان سلوكي هو غاية الخسة والجبانة . ولكن يعلم الله ما لا يعلم سواه فلا اقدر على زيادة حرف على ما قلته . — ولكن. يجب عليك — قلما ارجو من كلامي لك تأثيراً عليكِ . فاذهبي الى المستر بلودجيت واسأليه — وهل مستر بلودجيت يدري ما الذي تعترض عليه في هويتلي — نعم — انا كنت عند مستر بلودجيت في هذا النهار وهو صرّح لي بانه لا يجد شيئاً ضد عزمي . — اذاً لا تؤاخذيني على ما قلته . قد كان قصدي شريفاً فان لم يتم فانا اعتذر واسحب كلامي

— دكتور هرزمان . قد كتبت امس الى المستر هويتلي داعية اياه الى هنا بقصد ان اقبل طلبه باقتراني به . وهو الان في قاعة الاستقبال. فاذا لم تزدني ايضاحاً اضطر الى اخباره عن كل ما جرى واجعل له وسيلة ليجبرك على التكلم

— سوف اراجع له فقط يا آنسة ولطن ما قلته لك . فتفرّست بي هنيهة ثم وقفت قائلة : اذاً انت مديون له بعدم الفرار من هنا

في اثناء غيابي

وذهبتِ الى قاعة الاستقبال من حيث عدتِ بعد حين يتبعك المستر هويتلي وبادرتني بالحديث قائلة : دكتور هرزمان . هل تكرر الان ما قلته لي عشية امس

— نصحت لك يا آنسة ولطن بالا تقترني بالمستر هويتلي

— وهل لك ان تقول السبب ؟

— لا اقدر

فصرختِ قائلة . مستر هويتلي . الا يمكنك اجباره على التكلم ؟ فاجاب برقة ورزانة وسهولة جعلتني اشعر وقتئذٍ بانه كان اكبر من تلك الحالة

— يا آنسة ولطن . انا مرتبك مثلك بهذا السلوك العجيب من رجل هو حتى الساعة يأكل الخبز من يدي . منذ زمن طويل يئست من عرفان هذا الرجل جميلاً لكنّ هذه النجاسة تذهلني وتحزنني من الدكتور هرزمان الذي لم اباده باساءة قط بل كنت دائماً اخطب صداقته . فاجبتُ

— لقد كنت في خدمة المستر هويتلي . نعم . ولكن كل ريال أعطانيه كان استحقاق اتعابي . فانا غير مديون له بالشكر اكثر مما هو مديون لي . فقلت يا مازي

— ولكن انت مديون له بالعدل الواجب على كل رجل نحو الاخر .

ان توجيه التهمات السرية اغتياباً ومن ثم التمنع عن الايضاح هو طريقة الجبان التام في الاعتداء

— آنسة ولطن . يعلم الله اني ما كنت انبس بكلمة لو لم يكن قصدي شريفاً مبنياً على محبتك الخاصة . انني اعطي حياتي اذا سألتنيها

فخيّل لي عند ذلك ان حماستي اثرت عليك تأثيراً لم يخف حتى على هويتلي نفسه فاراد ازالته برقة لسانه وقال :

— آنسة ولطن . ليس اعتذار الدكتور هرزمان بادعاء الشرف الا حيلة الجبان المتستر . ولكن من كونه قضى في خدمتي سنتين كان في اثنائها بمثابة كاتم اسراري الخصوصي لا يبعد انه من بعض احدوثات السهو قد استنتج استنتاجاً يتخذه اساساً لتهماته الحاضرة . فانا لا اتخذ مما في معلوماته من ايجاب كتم السرّ وسيلة التوقي شأن المذنب المستتر. والان امامك ان كان قد وجد في سلوكي ما يحمله على الظن باني فاسد او مجرم اسمح له بالتكلم . قال هذا وسكت

حتى في ذلك الارتباك لم اتمالك من الاعجاب بالبراعة التي ادّى بها ذلك الفكر . بنوع انه اوهم السامع انه فتح لي كل باب ضده مع انه بالحقيقة ذكرني بما في اذاعة الاسرار من قلة الشرف . فلم اجد شيئاً اقوله غير : انا لم اتهم مستر هويتلي بفساد ام جريمة . فقلت

— ان هذا التصرف لا يدرك . فقال هويتلي . الا بصفة واحدة.

هي ان الدكتور هرزمان يحبك يا آنسة ولطن · قلتِ · ولكن هذا مستحيل · فقال هويتلي · ليس هذا اكثر استحالة من ان انساناً يراك ولا يحبك · فادرتِ نحوي قائلة · دكتور · قل للمستر هويتلي كم هو غلطان · فاجبتك · لا اقدر · · · · وعلى رغم الظروف وعدم مناسبتها ساقني التهيج الى التصريح بما كان طول العمر شاغل افكاري قلت : انني احبك يا آنسة ولطن · ولكن · محبتي لك هي ابعد عن ان تضعني الان امامك في مقام المناظر المغتاب · ان كلامي لك عن المستر هويتلي يتعلق بي وبه دون سوانا · فثقي بان قصدي نحوك لا يزال شريفاً

اظن ان الكدر الذي كان في قلبك زال وقتئذٍ ليحل محله شيءٌ من الشفقة · ورغبة في الوقوف عند هذا الحد قلتِ لي بكل صراحة · دكتور هرزمان · لا استطيع الاكتراث لتهمات مجهولة توجهها الى المستر هويتلي · فاذا لم تشأ بعد اسبوع كامل ان توضح لي كل ما يدعوك الى هذه المعاملة للرجل اضطرُّ الى قبول الطلب الذي شرَّفني به للاقتران بي · فلا تدعني استمهلك هنا بزيادة · مساء الخير

خرجت من القاعة كسير القلب · دون قوّة لرفع رأسي · ورجعت الى هذه الغرفة وجلست على هذا المكتب اسطر ما جرى وكل تنهيدة من صدري تماثل مدية تخترقه · لو كان جسمي اشد لما صادف في هذه المعركة كل هذا التعب · ولكن مع كل ما اقاسي من الالم قد

توصلت الى نتيجة واحدة • غداً اسير الى المستر هويتلي وبكل حرية اصرّح له بانه من الواجب ان تعرفي الحقيقة عن الكتاب • وانه ان هو لم يقل لك اياها فانا اقولها • سوف لا يعود لي حقّ برفع رأسي ولكن ذلك لا يهمني • يا حبيبة القلب ان امكنني ان اخلصك من بين يديه فتضحية حياتي وشرفي واقتبالي الفقر والمذلة كله يصير لديّ سهلا

مساء الخير مازي

المكتوب الخامس والعشرون

في ١٠ ك ٢ سنة ١٩٠٥

هذه خمس سنوات مضت على كتابة مكتوبي الاخير · وانا في هذا المرة الاولى اعيد النظر في كل تلك الكتابات ولا ادري ما اسميها · لانها ليست تذكارات يومية ولا مكاتيب رسمية بل هي سيرة محبتي · وفيها انا اقرأها اشعر مع الذهول بما يوهمني اني اتابع شواعر شخص خر لا افكاري انا واختباراتي · منذ خمس سنوات كنت في كل مـ‍ا يمكن لفرد من البشر ان يكون فيه من الحزن والهم والغم اصرف لياليَّ مذيباً دماغي على هذه الاوراق معللاً نفسي بان مـا في ذلك من التعب يجلب اليَّ النوم الذي عبثاً كنت اطلبه · مضى كل ذلك وانا الآن اتابع الكتابة لا لاني قليل النوم منزعج الافكار ولكن لان اكمال ما باشرته صار فرضاً عليَّ

بقيت شهراً كاملاً في اشد المرض · فانحلت قواي حتى لم اترك غرفتي بعد ذلك بخمسة اسابيع · وفي كل تلك المدة ان كان شيءٌ في الدنيا يمر ببالي من خلال عذاباتها وشقائها فهو الحنان اللطيف الذي صادفته على يد مادام بلودجيت · لم تكتفِ هذه السيدة بمناظرة اوامر

الطبيب وتتميها بدقة الام التي تمرّض ولدها بل انها حالما وجدت مني امكانًا على النهوض امرتني امرًا باتًا باتباعها الى مصيف ماي قسي عندما يسير زوجها الى هناك على اثرها

وعلمت يا مازي انك ستكونين هنالك

فلما حان الوقت المعين · جاءني المستر بلودجيت فاستجمعت قواي للخروج من الغرفة وسرت معه في عربة الى محطة قطار الاكسبراس وسافرنا بعد الظهر · ولما دخلنا المركبة من وجدنا هنالك ؟ لمزيد تعجب المستر بلودجيت واندهالي انا وجدنا المستر هويتلي · وبكلمتين فهمنا منه انه سائر الى ماي قسي ليرى الانسة والطن · وقال : واذا لم يكن لي موضع للنوم عندكم استاجر غرفة في فندق الى الغد واعود · فاجابه بلودجيت ان المحل واسع وهو ضيف كريم

ثم ادار هويتلي نحوي وبشّ بوجهي قائلاً · قد طال مرضك ايها الدكتور ونحن في حاجة اليك فتى تشفى وتعود الى تحرير الجريدة

مازي · لو انه لطم وجهي في تلك الدقيقة لما كان فعله اذهلني اكثر من كلامه · لكنني لم اتظاهر بذلك · واكتفيت بان اشكره قائلاً · سوف لا ارجع قط الى الادارة مستر هويتلي · فاجاب · لا ادري لماذا لا يجب ان ترجع · قد اتيت هفوة بدون حكمة · نعم · ولكن الاشغال لا تدخل في الشؤون الشخصية فلا ارى سببًا يجعلك تتخ‍ ‍س غلطة

واحدة وسيلة لقطع مواصلات نفهما متبادل

فقاطعه المستر بلودجيت قائلاً . دع الدكتور بدون انزعاج . هويتلي . فانه محتاج كثيرًا الى النوم فضلاً عن انني وجدت له شغلاً آخر احسن له من تحرير الجريدة . تعال معي الى مركبة التدخين . فسار الاثنان عني وبعد ما افتكرت قليلاً في المذهلات التي طرأت عليَّ وفي كيفية مقابلتك لي عندما نصل استغرقت في نوم عميق لم انتبه منه حتى وقف القطار في ماي فنسي . فدخلنا البيت بكل فرح واستقبلني الجميع بابتهاج اما انت فكان استقبالك لي رسمياً انما بشوشاً كالعادة . ذلك ما اعاد اليَّ ذكرى الايام السالفة وجعلني افكر في مقابلتنا الاخيرة وهل كانت بالحلم ام باليقظة . وبعد ان استقرَّ بنا المقام امرتني السيدة بلودجيت بالخروج الى الروضة لتنشق النسيم العليل وما كدت انفرد حتى رأيتك قادمة نحوي ولمزيد توجسي قلقاً وخوفاً جلستِ بجانبي . حسبت انك طبعاً تريدين زيادة الاستفهام مني عن المستر هويتلي واستعدّيت للامتحان المخيف . لكنكِ لم تقصدي ذلك . فمن بعد السكوت هنية التفتِّ اليَّ وبصوت متلك قلت لي هل انت اشرف من ان تغتفر سلوكاً قليل الشرف . انا آتية الآن لطلب المغفرة عن زلة

— مني انا يا آنسة ولعن ؟

— نعم . في شهر نيسان الماضي اتتني مادام بلودجيت بكتاب

مخطوط وسألتني ان اقرأه · بضعة سطور منه دلتني على انه مكتوب بقلم صديق قديم · وبعد ان قرأت منه قليلاً انتبهت لكوني متطفلة على سرّ خصوصيّ · ومع ذلك لم استطع اقفال الكتاب قبل ان اتيت على آخره · اتقدر ان تسامحني

— آه يا آنسة ولطن · ولكن ما هو فعلك بجانب الخطاء الذي ....

— اسكت دونال وقل لي انك سامحتني · قلت ذلك بتلطف · واستعمالك اسمي الحقيقي دونال لاول مرة افهمني ان شعور ايام الصبى قد عاد الينا بعد طول العهد · وحاولت الاحتجاج على طلبك لكنك بالحال عدت الى الحديث قائلة · انا اخطأت اليك يا دونال لكني غير نادمة على الاطلاق · فلم يصلني منك تحرير ولا الصورة · انما عمي اقر بانه احرقها · على انني اغتفر لنفسي سوء معاملتي اياك لما كنت مريضاً

— هذا لا يهم بعد ما زال من بيننا سوء التفاهم · حتى ديوني ذاتها يا مازي لم تعد ثقيلة وفي المستقبل صار شغلي نوعاً من السعادة

— دونال · لا تظن اني ادعك تدفع لي سنتاً واحداً بعد · فاني غنية وليست للدراهم قيمة عندي · انا الوم نفسي لاني رفضت مقابلتك في تلك الليلة وخسرت آخر وسيلة لتخليصك وجعلتك تشقى كل هذه المدة بذلك الشغل القاتل · وفوق ذلك تبيع شهرتك في كتابك — لذاك اللصّ · انظر دونال الى ما جرّ ذلك من النتائج السيئة · واعلم

حبيبي ان الناس غرّوني وغشوني وافهموني ان اباك الذي احبته صغيرة لَمّا كان يتظاهر لي بحب خادع لكي يزيد تمادياً في انفاق اموالي - ولما لم يصلني منك علم ولا خبر تأكدت انكما طرحتماني من فكرتكما حالما زالت من ايديكما الوسيلة للتصرف بثروتي . وحتى في ذلك الحين كنت الومك كما انت لمتني على اهمالٍ غير منتظر ولا مفهوم . آه لو علمت ان اسمي كان على شفتيه عندما اسلم الروح . . .

— مازي . ان كنتِ تحبينه فدعينا نطهر اسمه من وصمة العار

— نعم يجب ان نطهر اسمه

فاخذت يدك اللطيفة ونقلتها الى فمي . وفيما نحن على هذه الحالة اذا بمادام بلودجيت اقبلت الينا وفي عينيها دمعة وعلى ثغرها ابتسامة . واخبرتنا كيف لقيت الكتاب على مكتبتي في الغرفة حيثما كنت مغشياً عليّ . ثم قالت قد حان وقت النوم فاتبعاني سريعاً . وذهبت

ادرت راسي اليك عند ذلك وتنهدت من قلب ليس يدرك مقدار سعادته . وبسطت لك يدي قائلاً مساء الخير مازي . فصافحتني بمحبة يا طالما تاقت نفسي الى ظهورها ذلك المظهر الصريح وقلتِ مساء الخير دونال . ومن ثم غلبت عليك التذكارات القديمة فانحنيت عليّ بحنان وقبلت جبهتي . فضممتك الى صدري وارجعت لك القبلة مضاعفة وانا اقول مساء الخير مازي . مساء الخير

❊ الكلمة الاخيرة ❊

الرجل السعيد لا يستطيع ان ينشر برغي الطف واحلى عواطف قلبه على صفحات الورق . يمكنني وانا حزين ان اتنفس الصعداء بتنهيدة ترجع قلوب السامعين صداها . لكنّ السعادة الحقيقية في هذه الحياة هي ساكتة . لانها اكبر من ان تنحصر في قول . ولئلا تحسبوني يا احبائي اقل مروءة مما انا في الحقيقة لم اجد بدًّا من افادتكم عن السبب الذي دعاني الى كتابة هذه الكلمة الاخيرة من رواية حبي المكتوم . حتى اذا تسنى لكم ان تقرأوها تعرفوا السر الذي حتى الان ما زال مكتوماً

في هذا المساء دخلت عليّ في غرفة المكتب اعزّ النساء لديّ وقالت أ أنت مشغول دونال . فقلت . اني اطالع الان الانتقاد المئة والسابع والاربعين في الجرائد على كتابي تاريخ المغاربة وقد سئمت الحلويات المكتوبة عني في هذه الانتقادات حتى ان حضورك الان كان من الزم الاشياء لي . فقالت . وهل انا مرّة ام مالحة . فاجبتها . انتِ كما اشتهي . فقالت ولكن جئت لاسألك نعمة فهل تتكرّم بها عليّ .— انا كلي لكِ يا مازي . فضحكت مازي عند هذه الكلمة وانحنت على رأسي تضمه يدها . فقلتُ . ارى في يدك اليسرى لفافة من الاوراق موثوقة بشريطة حرير زرقاء تحاولين اخفاءها عني . قالت . دونال . اذًا عرفتَ ما اريد

ـ اسمي . في الربيع الماضي دخلت غرفتك لجأة بدون ان اقرع الباب . ورأيتك متكئة على المقعد تقرأين كتاباً من الاوراق قد ارتخت عنه شريطة زرقاء فاظن ان بين الشيئين علاقة . فقالت

ـ وبعد ذلك

ـ صرت اظن ان عندك كتاباً غير لائق تقرأينه ولا تريدين تعريفي بوجوده . فقالت . لو كنت تدري يا دونال كم تسرني مطالعة هذا الكتاب . قلت ولذلك رأيتك دامعة العينين لما كنت تقرأينه يومئذ لحسدتك على تلك السعادة البهيجة . فقالت

ـ الرجال لا يفهمون النساء مطلقاً

ـ صحيح . وانا اتذكر ايضاً اني منذ خمس سنوات فقدت كتاباً من غرفتي ومنذ ذلك الحين لم اهتدِ الى مكانه مع ان شوقي اليه يغالب اسفي عليه . فقالت . ولماذا تريده . قلت . لاطعمه للنار . فقالت . ولكن لي عليك عهد باجابة سؤلي . ـ وماذا تريدين مازي . قلت ذلك وكان ذكري لاسمها دليلاً على شدة محافظتي على العهد فقالت.

ـ اريد ان تكتب للكتاب فصلاً يكون الكلمة الاخيرة فيه . ـ

ـ ولماذا

ـ حتى اذا كبر اولادنا يتمكنوا من قراءته

ـ ولكن لا رغبة لي في الاباحة لاولادنا بما كان يجري بيننا

تحت اغصان الشجر · فضلاً عن ان اولادنا عندما يكبرون يكون لهم من قلوبهم نفسها ما يشغلهم عن تذكار احاديث قلبيَ والديهم

— ولكن عزيزي دونال انا احب ذلك والاولاد يجدون لذة فيه بالطبع

— اذًا مازي ما قولك في عبارة واحدة نختمه بها قائلين اننا تزوجنا وعشنا بكل هناء · فقالت · كلا دونال اريد ان تكون النهاية مناسبة للبداية · اريد ان تذكر عن حفلة الاكليل وكم كانت شائقة وعن كلمات كثيرة سمعناها من الجياد والبغال · وعن هياج هويتلي الى حدّ الجنون وعن تخرصات مادام بوليبوس وعن الطاف مادام بلُودجيت وعن فضل ذلك الرجل المحب والمخلص المستر بلودجيت · واخيرًا ان تختم كل ذلك باللفظة اللطيفة التي جمعت ارق ما في القلب من العواطف وهي (مساء الخير مازي · مساء الخير ·)

* * * * *

ولذلك انا يا اولادي الاحباء يا خلاصة محبة قلبي وقلبها اعيد الى الاذهان ذكرى الحوادث التي مرّت ومرّت عليها خمس سنوات كاملة · فاطلب منكم الآن ان تقرأوها وتحفظوها مكتوبة واطلب منه تعالى انّ كلاً منكم يلاقي في حياته موضوعاً لحب نظير حبي ويكون صادقًا وشريفًا نظير والدتكم وسعيدًا نظير والدكم

مساء الخير اولادي · مساء الخير يا احبائي · عسى ان يكون الله محسناً اليكم مثلما كان اليّ

انتهت



المهاجر

جريدة عربية في نيويورك عمومية في مباحثها وحرّة في آرائها ودقيقة في ملاحظاتها

تنشر كل اخبار العالم اللائقة بالطبع

اسمها يدل دلالة واضحة على اهتمامها الرئيسي الذي هو [redacted] البحث في شؤون السوريين في اميركا لا سيما الاجتماعية منها مما يرفع مقام المرأة ويصون تهذيب العائلة ٠ بدل اشتراكها اربعة ريالات اميركية في الولايات المتحدة و خمسة ريالات في الخارج ٠ تصدر مرتين في الاسبوع ٠ وهي تدخل سوريا

❊مطبعة المهاجر❊ — تطبع الاوراق والجرائد والكتب بالعربية والانكليزية وهي مستوفية الشروط بالاستعدادات من حيث النظافة والترتيب والاتقان

❊مكتبة المهاجر❊ — فيها جميع انواع الكتب العربية الدينية والعلمية والتاريخية والروايات الادبية المفيدة وجميع القصص والحكايات اللذيذة

وهذا عنوانها

AL-MOHAJER

21 WASHINGTON ST.

NEW YORK



بو اليد

معرض سنت لويس المشهورة

اشتهرت بواليدنا ماركة معرض سنت لويس عند كل السوريين في هذه الديار حتى لم يعد يلزم ان نشرح لهم عنها. فاننا نستجلبها راساً وهي مختلفة الاجناس انما كلها طيبة للغاية فمن لم يسبق له ان تعامل بها يطلبها من عندنا . وكذلك لا يجب ان ينسى التجار الكرام عن الطقومة الرجالية وطقومة الاولاد منها سنكل ودبل بريست مشكلة الحجم والالوان وجميع انواع البضائع المتعارفة الموجودة بكثرة وباعتناء كلي في محلنا . وخبرتنا الطويلة في الاشغال منذ ١٨ عاماً تكفل لجميع من يتعاملون معنا السرور وراحة الفكر والربح الطويل ان شاء الله

(جرجي ملحمه وشركاه)

G. MALHAMI & Co.

66 GREENWICH ST. New York

بناية جديدة

ان اصحاب محل خوري ونصرالله في ١٧ شارع ركتر المحل المشهور عند الاميركان والسوريين في كل انحاء الولايات المتحدة والمعروف بحسن الادارة والامانة في المعاملة فتقدم تقدماً غريباً في هذه المدة يتشرفون ان يعلنوا لجميع الزبائن الكرام انهم قد انتقلوا الى بنايتهم الجديدة في نمره ٣٠ شارع ركتر المؤلفة من ثلاثة طوابق يستعملونها لادارة اشغالهم · وقد ورد لهم من اجمل البضائع الموافقة الفصل كميات كبرى من الكلوتي والدرون ورك الياباني وخلافه من كل القياسات واجمل الرسمات البديعة على آخر طرز محجوزة لحسابهم الخاص · وعندهم الفساطين الحريرية والقطنية الرائجة والمشهورة في اهم المخازن الكبرى المعروفة باسمهم · والشرت وست الذي هو من اجمل المطرزات الحديثة والحرامات الحريرية من جميع الاجناس كل ذلك باسعار موافقة ومرضية للجميع · وقد تاكد ذلك لجميع معامليهم الكرام فالذي يجب معاملتهم ينتفع كثيراً وهذا هو عنوانهم :

(خوري ونصرالله)

KHOURY & NASRALLA

30 Rector St New York

المهاجر

جريدة سورية عمومية حرة

تصدر مرتين في الاسبوع

الاشتراك السنوي

في الولايات المتحدة وتوابعها وكندا والمكسيك وكوبا

٥ ريالات اميركية

وفي سائر البلاد الاجنبية ٦ ريالات اميركية

AL-MOHAJER
21 WASHINGTON STREET
NEW YORK CITY